ا = ٤ أو المجهول

محمود سالم

١ = ٤ أو المجهول

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

١ = ٤ أو المجهول

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ١ ٢٤٢٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
بعد الظهر ... في يوم حار	١١
الكابينة رقم «١٣»	١٥
المقر السري ينكشف	٢١
«عثمان» يعمل وحده	٢٧
الرجل الرابع	٣٣
«رقم ١٠١» يتحدَّث	٣٩
طلقتان إحداهما تكسب	٤٥
خريطة الكنز	٥١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كل منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرة يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يره أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

بعد الظهر ... في يوم حار

كانت الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والعشرين عندما الْتصقت السفينة المصرية السودان بالرصيف رقم «٣» في مرفأ بيروت، وتوقفت آلاتها عن الدوران. وقبل أن يهبط راكب واحد من السفينة، كانت مجموعة من رجال الشرطة اللبنانية قد صعدوا إلى السفينة، ووقفوا بجوار رجال الجمرك الذين كانوا يفحصون جوازات سفر القادمين من الإسكندرية على السفينة، قبل السماح لهم بالهبوط إلى مرفأ بيروت ... وكان هناك عدد آخر من رجال الشرطة يقفون على طول الرصيف ... وعدد آخر في قارب يدور حول السفينة ...

كان الحصار محكمًا ... وكان الهدف القبض على «بيرد آمبروز» القاتل المحترف، والذي لا يعرف شخصيته الحقيقية إلا عدد قليل جدًّا من الناس ... وكانت أوصاف «بيرد» في ذهن كل رجل من الرجال الذين أحاطوا بالسفينة أو صعدوا إليها ... الطول ١٧٥ سنتمترًا ... رشيق ... مفتول العضلات ... أسود الشعر ... العيون عسلية تميل إلى الاصفرار، وفي حقائبه سلاح أو أكثر.

وأهم من هذه الأوصاف أن «بيرد»، كما قالت النشرة، رجل شديد الخطورة ... سريع الحركة ... يجيد التصويب ولا يتردَّد في القتل ...

وأخذت عشرات العيون ترقب كل راكب يتقدَّم إلى ضابط الجوازات ويسلِّمه جواز السفر الخاص به. كان فحص دقيق يتم حول كل شخص ... ولا يُسمح له بالنزول إلا بعد التأكُّد من شخصه ... وفحص حقائبه.

كان يومًا حارًّا من أيام شهر يوليو ... والشمس تُصلي المرفأ بنيرانها الحامية. ومال العقيد «شموط» — من رجال الشرطة — على زميل له قائلًا: متى وصلت البرقية من القاهرة؟ رد الآخر: منذ ربع ساعة فقط.

شموط: هل هناك احتمال أن يكون «بيرد» قد غيَّر رأيه ولم يركب السفينة؟

الرجل: إن جهات الأمن المصرية متأكدة؛ فقد وصلت لهم برقية من الإنتربول، وهو البوليس الدولي، بعد إقلاع السفينة بمدة طويلة. وتأكد رجال الأمن المصريون من كشوف الركاب في الشركة العربية للملاحة أن «بيرد» بين ركاب السفينة السودان وهكذا أبرقوا إلينا.

شموط: إذا كان «بيرد» بين ركاب السفينة حقًّا ... فلن يفلت من أيدينا.

رد الرجل الآخر: إنه موجود ... فقد سألت الضابط «سمير» المسئول عن شئون الركاب على السفينة، فأكد لي أن جواز السفر الخاص بـ «بيرد آمبروز» كان ضمن جوازات السفر التي جُمعت من الركاب عند صعودهم إلى السفينة في الإسكندرية.

شموط: إن المشكلة الحقيقية في عدد الركاب ... فالسودان سفينة كبيرة نسبيًّا ... وقد قال لي القبطان إن عليها ١٦٠٠ راكب.

الرجل: أخشى ما أخشاه أن يحس «آمبروز» بهذا التفتيش والفحص فيتصرَّف بحماقة، أو يعرِّض أرواح الركاب للخطر.

شموط: لهذا حرصت أن يلبس رجالنا جميعًا الملابس المدنية حتى لا يلفتوا الأنظار.

واستمرت إجراءات الفحص ... وأخذ الركاب يغادرون السفينة ...

في السابعة بعد ظهر نفس اليوم ... بدأ جهاز اللاسلكي في مقر الشياطين الـ «١٣» في بيروت يرسل دقاته المتقطعة، ولم يكن في المقر سوى «إلهام» التي كانت تقوم في ذلك اليوم بدور النوبتجية، أمَّا بقية الشياطين فقد ذهبوا للغداء وقضاء بقية اليوم في الجبل، حيث تنخفض درجة الحرارة، ويرق الهواء ويبرد.

كانت أمام «إلهام» زجاجة من الكراش، وهو عصير البرتقال المفضل في لبنان، وكان في يدها كتاب بعنوان «يوم ابن آوى» من تأليف «فردريك نورسيت» وهو عن الزعيم الفرنسي الراحل «ديجول» ... ومحاولات اغتياله. كان كتابًا شيِّقًا شد انتباهها تمامًا ... حتى سمعت أزيز جهاز اللاسلكي فأسرعت إليه ... وبدأت تتلقَّى أول رسالة تصل إلى الشياطين في الأسابيع الأخيرة.

من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س» شياطين الكهف السري

استطاع رجل يدعى «بيرد آمبروز» أن يدخل بيروت قادمًا من الإسكندرية. الرجل قاتل محترف ... ركب السفينة السودان إلى بيروت، ورغم الحصار الذي وضعه رجال الشرطة حول السفينة استطاع أن يقوم بخدعة مدهشة؛ فبعد أن خرج جميع الركاب بحث رجال الأمن في السفينة كلها ... وعثروا على شخص مقيَّد ومُكمَّم وملقًى في دورة مياه الدرجة الأولى، وقد ظنوا أنه «آمبروز» لأنه يشبهه فعلًا، ولكن الرجل قال إن اسمه

«سيمون جالارد»، وإنه فرنسي الجنسية ويعمل في تجارة الآلات الدقيقة. وقال «جالارد» إنه تعرَّف بـ «آمبروز» على ظهر السفينة ... وقُبَيل وصول السفينة بساعة تقريبًا إلى المرفأ، كان يحزم أمتعته في الكابينة عندما دخل «آمبروز»، وقبل أن يدرك «جالارد» ما يريد ... ضربه «آمبروز» على رأسه واتضح أنه جرَّده من ثيابه ومن أوراقه ... ثم نزل من السفينة على أنه «سيمون جالارد». والمدهش أن «جالارد» أكبر سنًّا من «آمبروز»، وشعره أصفر، وعيونه زرقاء ... ومن المرجح أن «آمبروز» يجيد التنكُّر ... وأنه استطاع تغيير منظره في النصف ساعة التالية ... وهكذا استطاع المرور من حصار رجال الأمن ... مطلوب منكم الاشتراك في البحث عن «بيرد آمبروز» في شخصيته الجديدة «سيمون جالارد».

ثم أورد رقم «صفر» في تقريره وصفًا دقيقًا للرجل ... واختتم التقرير قائلًا: «طلبت من البوليس الدولي معلومات أوفر عن «آمبروز»، ويقوم رجال الشرطة الآن بفحص جميع سجلات فنادق بيروت، والعمارات المخصصة للشقق المفروشة، وسيصلكم تقرير آخر في الساعة العاشرة.»

أخذت «إلهام» تقرأ التقرير وهي تهز رأسها مندهشةً لجرأة الرجل، وأسرعت إلى جهاز التليفون ... وكان بقية الشياطين عندما وصلوا إلى الجبل قد اختاروا مطعم «برج الحمام» للغداء، فاتصلوا بـ «إلهام» وتركوا لها رقم التليفون إذا احتاجت لهم.

سمع «أحمد» اسمه يتردَّد في المطعم، فأسرع إلى جهاز التليفون، قالت «إلهام»: تقرير من رقم «صفر» خاص بشخص تسلَّل إلى بيروت ومطلوب القبض عليه سريعًا، ليست المعلومات دقيقةً وسيصلنا تقرير آخر في الساعة العاشرة.

ثم لخَّصت له المعلومات التي وردت في التقرير.

وقال «أحمد»: سنأتي فورًا. ثم أسرع إلى بقية الشياطين يطلب منهم ركوب السيارتين ونزول الجبل. كان الموجودون في بيروت من الشياطين الـ «١٣» هم: «عثمان» ... السوداني، و«أحمد» ... المصري، و«زبيدة» ... التونسية، و«فهد» ... السوري، و«ريما» ... الأردنية، و«إلهام» ... اللبنانية.

وأسرع الخمسة إلى السيارتين الحمراوين، ودارت المحركات وانطلقت السيارتان تنزلان الجبل. كانت الطرق متعرِّجةً تشبه طبقًا من الإسباجتي الرفيعة وتحتاج إلى قيادة سريعة، ولكن حَذِرة. وانطلقت السيارتان و«عثمان» يقود إحداهما و«زبيدة» تقود الثانية، وأخذتا تدوران واحدةً بعد الأخرى. وفجأةً عند أحد المنحنيات سُمع صوت انفجار داوٍ ... واتضح أن الإطار الأمامي في السيارة الأولى التي يقودها «عثمان» قد انفجر، ومالت السيارة

على جانبها الأيمن في اتجاه الهاوية وهي تمضي كالسهم إلى أسفل، وضغط «عثمان» على الفرامل بشدة، وانحرف بمِقْوَد السيارة إلى اليسار محاوِلًا تجنُّب الهاوية.

دارت السيارة حول نفسها، وأصبحت مقدمتها على الطريق، ومؤخرتها على حافة الجبل ثم توقفت، وعندما حاول «عثمان» و«ريما» النزول، مالت السيارة إلى الخلف وأصبح نصفها الخلفي أثقل من نصفها الأمامي … فجلس «عثمان» و«ريما» مكانهما يحاولان حفظ توازن السيارة حتى لا تسقط في الهاوية … وكانت السيارة التي تقودها «زبيدة» قد توقفت، وتوقف عدد آخر من السيارات القادمة في نفس الاتجاه والاتجاه المعاكس.

كانت لحظات حافلةً بالخطر … فأي حركة من «عثمان» و«ريما» كانت كافيةً لتسقط السيارة في الهاوية … فقد كانت تستند من وسطها على حافة الجبل … وكأنها ميزان حساس أي حركة تؤثر فيه …

أسرعت «زبيدة» و«فهد» و«أحمد» إلى السيارة المتأرجحة … وفي نفس الوقت نزل رجل أسمر طويل القامة من سيارة فولكس بيضاء وأقبل مسرعًا ناحية الحادث ورفع يديه الاثنتين إلى فوق طالبًا من الشياطين الخمسة الانتظار … ثم أشار إلى بعض ركاب السيارات الأخرى أن يحضروا … وصاح بصوت صارم: سنسحب السيارة إلى الأمام قليلًا …

والْتفَّ نحو عشرة أشخاص حول السيارة المتأرجحة، وأمسكوا بها من كل جانب ثم بدءوا يسحبونها … وكان «فهد» قد أحضر قطعةً من الصخر ووضعها خلف العجلة الأمامية حتى لا تعود إلى الوراء … وشيئًا فشيئًا بدأت السيارة تنسحب إلى الأمام والرجل الأسمر الطويل يصدر تعليماته … وبعد فترة مشحونة بالتوتر … استوت السيارة على الطريق ونزل «عثمان» و«ريما».

وتقدَّم عثمان من الرجل الأسمر يشكره، ونفض الرجل يديه وهو يبتسم قائلًا: لقد كنت تسير بسرعة أكثر من اللازم … وحسن الحظ وحده هو الذي أنقذك من الموت أنت وزميلتك.

عثمان: أشكرك كثيرًا يا سيدي … وأود أن أتعرف بك. قال الرجل مبتسمًا: اسمي «سمير سلامة».

وقبل أن يتم جملته سمع الجميع صوت اصطدام … ثم أصواتًا عاليةً تسب وتلعن …

كانت صفوف السيارات على الجانبين تقف … وعلى بعد عشرين مترًا كانت سيارة كاديلاك سوداء تحاول المرور رغم الزحام … وكان قائدها يلف بها كالمجنون محاوِلًا الدوران بها في الطريق الضيِّق … دون أن يلقي بالًا إلى خطورة ما يفعل …

الكابينة رقم «١٣»

انهمك الشياطين الأربعة في تركيب العجلة الإضافية بعد أن ركنوا السيارة بعيدًا عن حركة المرور، ولم يستغرق التغيير أكثر من عشر دقائق، ثم عادت السيارتان تشقان طريقهما إلى بيروت ... ومرُّوا بمكان السيارة الكاديلاك التي حاول صاحبها المرور رغم الزحام ... كانت قد اصطدمت بسيارة أخرى ثم مضت مسرعة ... ووقف صاحب السيارة التي صُدمَتْ يسب ويلعن ... وقال «فهد» لـ «زبيدة»: شيء غريب هذا الرجل صاحب الكاديلاك! كيف حاول أن يدور في هذا المكان الضيِّق؟

زبيدة: لقد رأيته يدور كالمجنون محاوِلًا الإسراع بسيارته رغم الزحام وضيق المكان، وكأنه يفر من شيء.

ومضت السيارتان ... وكانت الشمس قد غربت وراء الجبال العالية ... وتركت على السفوح والقمم مساحات من اللون الأحمر ... وساد السكون الجبل ... ولاحظ «عثمان» عند أحد المنحنيات بريقًا قويًّا يأتي من انعكاس ضوء سيارته على شيء معدِني مختفٍ بين الأحراش ... وعندما تجاوز مكان الشيء الْتفت خلفه بسرعة، واستطاع بعينَيه الحادتَين أن يلمح الرفرف المعدِني لسيارة رابضة بين الأشجار الكثيفة، وتذكَّر «عثمان» الكاديلاك وسائقها المتهوِّر ... وقرَّر أن يتوقف ويتأكَّد، فأطلق إشارةً خلفيةً من السيارة، ثم ركن بهدوء ... وبعد لحظات كانت «زبيدة» قد أوقفت سيارتها خلفه تمامًا ... ونزل «عثمان» مسرعًا واتجه إلى حيث تقف سيارة «زبيدة» و«فهد» و«أحمد» قائلًا: إن تصرُّفات قائد السيارة الكاديلاك السوداء مثيرة للشبهات ... لقد كان متعجِّلًا جدًّا ... وعرَّض حياته وحياة غيره للخطر. ولقد لمحت حالًا رفرف سيارة أظن أنها الكاديلاك ... وسنُضيِّع بضع دقائق فقط لنتأكد.

تقدَّم الشياطين الخمسة بهدوء إلى حيث أشار «عثمان»، ونزلوا المنحدر الذي يؤدي إلى مكان السيارة المختفية خلف الأشجار ... وكان استنتاج «عثمان» صحيحًا؛ فقد كانت هي الكاديلاك السوداء.

كان الباب الجانبي للسائق مفتوحًا، وتقدَّم «عثمان» على حذر ... ثم أطل داخل السيارة، لم يكن هناك أحد ... وأخرج بطاريةً صغيرةً من جيبه، وأطلق خيطًا رفيعًا من الضوء أداره داخل السيارة ... كانت فارغةً تمامًا ... ولم يكن هناك أثر لشيء فيها ... ثم سقط الضوء على بطاقة من الورق الأحمر المقوَّى ... وانحنى «فهد» والْتقط البطاقة وعلى ضوء البطارية قرأ:

الشركة المصرية للملاحة.
الدرجة الأولى.
رقم الحجرة «١٣».
الاسم: «سيمون جالارد».

لم يكن «أحمد» قد شرح للشياطين الأربعة الذين معه المهمة العائدون من أجلها إلى بيروت، وكل ما قاله إن هناك تقريرًا من رقم «صفر»، وإن عليهم الذهاب إلى مقرهم، لهذا لم تثِر البطاقة أي رد فعل عند «عثمان»، وكاد يلقيها لولا أن حاسة المغامر جعلته يُسلِّمها إلى «زبيدة» التي كانت خلفه مباشرة، فناولتها إلى «أحمد» الذي قرأها على ضوء بطاريته ... ثم أطلق صيحة دهشة لفت أنظار الشياطين إليه.

قال «أحمد»: صدفة لا تتكرَّر!

عثمان: ماذا حدث؟

أحمد: حدث الكثير جدًّا ... إنك أيها الولد الأسمر تساوي ثقلك ذهبًا.

عثمان: شيء مدهش! ... ما الذي جعلني ثمينًا ومهمًّا إلى هذا الحد؟

أحمد: لقد وضعتنا خلف «آمبروز» ... في أقل من ساعة من وصول التقرير.

عثمان: إنني لا أكاد أفهم أي شيء ... من هو «آمبروز»؟

أحاط الشياطين الأربعة بـ «أحمد» وهو يُقدِّم لهم ملخَّصًا لتقرير رقم «صفر» عن «آمبروز»؛ قاتل محترف ... شديد المهارة في التنكُّر ... سريع التصويب والإطلاق ...

زبيدة: شيء مدهش أن نقع على أثره بهذه السرعة!

أحمد: أُرجِّح أنه تصوَّر أن زحام السيارات ناتج عن وجود رجال شرطة يُفتشون السيارات، فتصرُّفاته المجنونة تدل على أنه خشي أن يُقبض عليه.

ريما: إنه لم يسبقنا إلا بدقائق قليلة ... ومعنى ذلك أنه قريب منَّا.

أحمد: سنفتش المنطقة المحيطة بنا الآن. كونوا على حذر، وسندور في شكل مروحة مركزها هذه السيارة، ونعود بعد نصف ساعة.

وبشكل آلي بحت ... نظر كل واحد منهم إلى ساعته، وقال «أحمد»: الساعة الآن الثامنة و١٥ دقيقة ... سنلتقي في التاسعة إلا ربع ... سيكون «عثمان» مع «ريما» و«زبيدة» مع «فهد» وسأتجوَّل وحدي.

وانتشر الشياطين الخمسة سريعًا، وأخذوا يُطلقون أشعة بطارياتهم على الأرض بحثًا عن آثار ... وكانت المنطقة كثيفة الأشجار ... منحدرة ... فساروا على حذر، وسرعان ما عثر «أحمد» على أول خيط ... لاحظ وجود أغصان منثنية في منطقة كثيفة الأغصان ... واقترب على حذر ... كان واضحًا أن أقدامًا قد مرَّت فوق بعض الأغصان فكسرتها ... وانحنى «أحمد» وسار ببطء ... متتبِّعًا الأغصان المكسورة ثم توقَّف فجأة، كان ثمة صوت حركة قريبة منه ... ووقف كالتمثال وأنصت ... ولكن الهدوء كان يسود المكان تمامًا ... لا يقصمه سوى صوت بعض السيارات المارة على الطريق البعيد.

قال «أحمد» في نفسه لعله فأر أو طائر ... ثم استمر في سيره ... والتقطت أذناه المرهفتان صوت حفيف سريع جدًّا ... ثم سمع شيئًا يصطدم بجذع شجرة خلف رأسه مباشرة ... وأطلق شعاع ضوء على جذع الشجرة ... ثم أطفأ بطاريته على الفور، كان هناك أثر رصاصة غائرة في جذع الشجرة ... أدرك «أحمد» أن «آمبروز» قريب منه، وأنه يستخدم مسدسًا أو بندقيةً كاتمةً للصوت.

وعاد الصمت من جديد ... وأدرك «أحمد» من اتجاه الرصاصة أن «آمبروز» يقف في اتجاه أمامي بالنسبة له ... فانحرف يمينًا ... ودار دورةً واسعةً سريعةً بين جذوع الأشجار محاولًا قدر الإمكان ألَّا يحدث صوتًا ... ثم اتجه رأسًا إلى حيث قدَّر أن يكون «آمبروز»، ولكن الرجل لم يكن موجودًا.

وقف «أحمد» مكانه مفكِّرًا ... ثم أطلق من فمه صيحة الخُفَّاش ... وهي الإشارة المتفق عليها بين الشياطين للنداء ... وفي هذه اللحظة سمع صوتًا خلفه ... وقبل أن يتمكَّن من الالتفات، أحس بضربة قوية تنزل على رأسه، وسقط على الأرض، وقبل أن يغيب عن وعيه تمامًا سمع صوت أقدام كثيرة تجري ... ثم لم يعد يحس بشيء ...

سمع الشياطين الأربعة صوت نداء الخفاش وحدَّدوا مكانه، ثم انطلقوا، وبذلك أنقذوا «أحمد» من موت محقق ... فقد كان «آمبروز» في تلك اللحظة يقرِّب مسدسه من رأس «أحمد» ليُطلق رصاصته القاتلة ... ولكن صوت الأقدام المسرعة اضطرَّه إلى الهرب سريعًا.

على ضوء البطاريات شاهد الأربعة «أحمد» ملقًى على الأرض، وسمع «عثمان» صوت أقدام «آمبروز» فأسرع خلفه، وبدأت مطاردة عنيفة في الظلام الكثيف الذي هبط على الجبل … مطاردة كمطاردة الحيوانات تعتمد على السمع فقط … كان كل منهما يربض في مكانه محاوِلًا الاستماع إلى الآخر والاتجاه ناحيته … وكان على عثمان الذي لم يكن يحمل مسدسًا أن يكون أكثر حذرًا … خاصةً مع قاتل محترف يجيد التصويب.

ومضت المطاردة وهما يتحاوران بالصوت والجري دون أن يتمكن أحدهما من اصطياد الآخر … ثم لاحظ «عثمان» أن فترةً طويلةً مضت دون أن يسمع صوت أقدام الرجل … فهل ربض في مكانه دون حركة، أم ابتعد كثيرًا حتى لم يعد يسمع صوت أقدام الرجل؟ …

انتظر «عثمان» فترةً أخرى دون أن يحدث شيء، ثم تحرَّك مسرعًا إلى حيث كان «أحمد»، وحوله «زبيدة» و«ريما» و«فهد»، وجده قد أفاق تقريبًا … ووقف على قدميه، وقال «عثمان»: من الصعب جدًّا تتبُّع إنسان في هذا الجبل … وبين هذه الأشجار.

أحمد: ولكن هذه فرصتنا الوحيدة لمطاردته … لقد كانت صدفةً ممتازةً نشتبك معه سريعًا، ومن الأفضل ألَّا نُضيع الفرصة.

عثمان: هل تستطيع الاشتراك في المطاردة؟

أحمد: طبعًا … هيا بنا، فقط خذوا حذركم فهو مسلَّح.

ومرةً أخرى بدءوا الانتشار … وسار «عثمان» ومعه «ريما» … و«فهد» ومعه «زبيدة» … و«أحمد» وحده … كان الظلام قد ازداد كثافة، وبدت البطاريات في الظلام كأنها نجوم تتحرَّك على الأرض.

وفجأةً لاحظت «ريما» أن ثمة شيئًا على الأرض يُشبه كومةً من الأتربة وورق الشجر … وبدت الكومة جديدةً رغم محاولة إخفائها تحت أوراق الشجر الجافة … ووقفت «ريما» خلف إحدى الأشجار لحظات ثم أشارت لـ «عثمان» أن يتوقف هو الآخر … كان تحذير «أحمد» لهما من القاتل المحترف يلزمهما بهذا الحذر … فقد يكون وراء هذه الكومة شيء ما …

ودار «عثمان» حول الكومة دورةً واسعة، ولكن لا شيء هناك … ثم اقتربا معًا من الكومة … وبغصن شجرة طويل بدأ يُزيح ما على الكومة من أوراق شيئًا فشيئًا، ثم أخذ يُزيل التراب … وأحس «عثمان» بشيء طري تحت الأتربة، فاقترب من الكومة وأخذ يُزيح التراب سريعًا … وتحت الأتربة برزت مجموعة من الملابس … أخذ «عثمان» يفردها بين يديه … وكم كانت دهشته ودهشة «ريما» معًا أن وجداها نفس الملابس التي كان يرتديها

رجل الأعمال الفرنسي «سيمون جالارد» كما وصفها «أحمد» ... والتي استطاع «آمبروز» في السفينة أن يجرِّده منها بعد أن ضربه على رأسه! ... وبتفتيش الملابس عثر على جواز سفر «سيمون جالارد».

قال «عثمان» مبتسمًا وأسنانه تلمع في الظلام: ... لقد تخلَّص «آمبروز» من الشخصية الثانية التي ادعاها ... وهو الآن شخص جديد ...

ريما: إنه الشخصية الثالثة الآن، وكان المفروض أن نطارد «آمبروز» ... ثم طاردنا «سيمون جالارد»، والآن علينا أن نطارد اسمًا ثالثًا لا نعرف عنه شيئًا.

حمل «عثمان» الثياب وعاودا المسير متجهَين إلى مكان التجمُّع عند السيارة الكاديلاك ... وعندما وصلا كان «أحمد» ... قد عاد وحده، وكان يبدو مرهقًا ... وعندما لاحظ ما يحمله «عثمان» صاح: ما هذا؟!

عثمان: إنها ثياب «سيمون جالارد» التي سرقها منه «آمبروز»، وجدناها «ريما» وأنا تحت كومة من الأتربة وورق الشجر على بعد حوالي مائة متر من هذا المكان ...

أحمد: معنى ذلك أن «آمبروز» أصبح شخصيةً ثالثةً لا نعرف عنها شيئًا، وهذا ما كنا نتحدث عنه الآن ...

ريما: إنه رجل غريب ... والسؤال الآن ما هي الشخصية الجديدة التي يتحرَّك «آمبروز» بها؟ ...

ساد الصمت بعد سؤال «ريما» الذي لا إجابة عليه ... ومرت فترة من الوقت دون أن يظهر «فهد» أو «زبيدة»، وقال «أحمد» بصوت قَلِق: لقد تأخرت «زبيدة» و«فهد» أكثر من اللازم! ...

ريما: لعلهما وجدا أثرًا لـ «آمبروز» يتابعانه.

عثمان: أو لعلهما ...

وتوقف «عثمان» عن إتمام جملته ... فقد كانت بقية الجملة متشائمةً جدًّا ...

المقر السري ينكشف

مرَّت أكثر من ساعة دون أن يظهر «فهد» أو «زبيدة»، وانقلب قلق الشياطين الثلاثة إلى يقين من أن ثمة شيئًا خطيرًا قد حدث. وقال «أحمد»: يجب أن نتصل فورًا بـ «إلهام» ... إنها الآن في غاية القلق علينا، ولعلها تلقَّت التقرير الثاني من رقم «صفر».

ريما: نحن في منطقة مهجورة بين قريتين، وعلينا الوصول إلى إحداهما حتى نتمكَّن من الاتصال بها ...

أحمد: سأذهب للاتصال وأعود إليكما.

أسرع «أحمد» إلى الطريق حيث كانت السيارتان الحمراوان، وكم كانت دهشته عندما لم يجدهما! ... كان الطريق خاليًا ... ولا أثر للسيارتين ... وأحس برأسه يدور... إن العدو الخفي يتحرَّك بسرعة ... فها هو قد غيَّر نفسه للمرة الثانية ... وها هو قد اصطدم بهم وانتهت النتيجة لصالحه ... وها هما «زبيدة» و«فهد» مفقودان والسيارتان قد اختفتا! ...

دبَّت روح المغامرة والتحدي في دماء المغامر العنيد ... وأسرع يرفع يده لكل سيارة مارة ... لا بد من الاتصال فورًا برقم «صفر» وإطلاعه على التطوُّرات، ثم معاودة البحث عن «آمبروز» ... بشكل أفضل.

وتوقفت سيارة مارة ... وركب «أحمد»، وبعد ربع ساعة تقريبًا كان عند إحدى القرى، وأسرع إلى مقهًى به تليفون، واتصل بـ «إلهام».

ردَّت «إلهام» بسرعة قائلة: أين أنتم؟ لقد تأخرتم جدًّا ...

وروى لها «أحمد» ما حدث بسرعة ثم قال: هل هناك تقارير من رقم «صفر»؟

إلهام: نعم ... في العاشرة تمامًا أرسل تقريره الثاني ...

أحمد: اقرئيه لي.

إلهام: إلى شياطين الكهف السري من رقم «صفر»

وصلت رسالة من الإنتربول عن شخصية «آمبروز». اسمه الأصلي مجهول تمامًا ... اتضح أن «بيرد آمبروز» شخص ميت، وأن هذا القاتل المحترف قد حصل على أوراقه بطريقة ما ... وانتحل شخصيته ... بالنسبة لأوصافه ليست محدَّدة ... فهو يستطيع تغيير شكله ومظهره بسرعة، وحتى لوَّن عينيه بعدسات ملصقة ... لا ندري بالضبط لماذا حضر إلى لبنان. كل ما نعرفه أنه تلقَّى برقيةً من بيروت أثناء وجوده في القاهرة ... البرقية تقول: «احضر خلال ثلاثة أيام ... العملية جاهزة» ... والتوقيع باسم «سامي صيدح». وبالبحث عن «سامي» هذا اتضح أنه كان ينزل في فندق فينسيا عند المرفأ ... وغادره بعد إرسال البرقية ... يمكنكم البدء من هذه النقطة ...

و«سامي صيدح» رجل طويل القامة ... قوي البنيان ... يعرج قليلًا ... يتلعثم في حديثه ... ويستخدم نظارات طبية ...

أحمد: أرسلي تقريرًا إلى رقم «صفر» بما حدث خلال الساعات الماضية ...

إلهام: وماذا ستفعلون؟

أحمد: لن نتحرَّك من هنا حتى نعثر على «فهد» و«زبيدة» ...

إلهام: هل أحضر إليكم؟

أحمد: ابقَي مكانك ... لا بد من وجود شخص في المقر للاتصال برقم «صفر».

إلهام: أحمد!

أحمد: إلهام!

إلهام: إنني ...

أحمد: وأنا أيضًا ...

إلهام: كن على حذر ... إنك تعرف ماذا تعني بالنسبة لي ...

سكت «أحمد» لحظات ... كان يريد أن يقول أشياء كثيرةً لـ «إلهام»، ولكن لم يكن ذلك وقتًا للحب ... فقال: سأتصل بك مرةً أخرى بعد ساعتين ...

وأغلق «أحمد» السماعة ... ثم خرج مسرعًا إلى الطريق ... نظر حوله في محاولة للعثور على سيارة ... ولحسن الحظ وجد سيارةً قد أدار صاحبها محركاتها، وتتحرَّك في نفس الاتجاه الذي يريده، وأشار بيده للرجل الذي ابتسم ودعاه للركوب ...

عبر «أحمد» الشارع إلى حيث كانت تقف السيارة، وفتح الباب المجاور للسائق وركب، ولم تكد السيارة تتحرَّك حتى أحس بشيء بارد يلمس رقبته وبصوت خشن يقول: أنت أسيرنا.

أدرك «أحمد» على الفور أنه كان متبوعًا من حيث لا يدري ... وأن الشيء البارد الذي يلمس رقبته ليس إلا مسدسًا ... وتساءل بينه وبين نفسه: هل استمعوا إلى المكالمة التليفونية أيضًا؟

وتذكَّر أن بعض الأشخاص كانوا يمرون بجواره أثناء حديثه التليفوني في المقهى ... وأدرك أن «آمبروز» لا يعمل وحده ... وأن «فهد» و«زبيدة» قد وقعا في يدي «آمبروز» وأعوانه.

سارت السيارة مسرعة ... وتجاوزت المكان الذي دارت فيه أحداث الساعات الماضية ... واقتربت السيارة من طريق جانبي ومكتوب عليه كلمة «طريق خاص»، ثم لاحظ «أحمد» أن أشخاصًا في الظلام تفتح بابًا ... وسمع صوت الباب وهو يُغلق ... سارت السيارة ببطء شديد، وأدرك «أحمد» أن الطريق ضيق للغاية، ثم انحرفت السيارة مرةً أخرى داخل مكان كثيف الأشجار ... ثم وقفت أمام منزل صغير اختفى خلف الأشجار تمامًا.

سمع صوتًا يأمره بالنزول ... ففتح الباب ونزل ... وأحس أن في إمكانه تحت ستار الظلام أن يقوم بحركة ما ... ولكنه فضَّل الاستماع إلى الأوامر ... فقد كان يريد فعلًا أن يعرف ماذا يدور في هذا المكان ... وعندما اقترب من المنزل فُتح باب جانبي، وأحس بفُوَّهة المسدس من خلفه تدفعه إلى الداخل.

بهر عينيه الضوء القوي داخل المنزل، ثم اعتادت عيناه الضوء، ووجد أمامه رجلًا وحيدًا جلس في استرخاء في مقعد كبير ... وقد ضم كفيه تحت ذقنه ووضع ساقًا على ساق ... وأُغلق الباب خلفه ... وأصبح وحيدًا مع الرجل ...

أدار «أحمد» بصره في المكان ... كان رغم صغره شديد الأناقة ... قد فُرش بأثاث اختير بعناية ... وقد غطَّت أرضه السجاجيد الثمينة ... وعُلِّقت على جدرانه لوحات غالية ... وسمع صوت الرجل يقول له: اجلس ...

جلس «أحمد» في كرسي مواجه للرجل ... وتأمَّله ... كان أبيض اللون مشربًا بحمرة، نحيلًا شديد الأناقة ... تجاوز الخمسين ولكنه يتمتع بجسد رياضي، ولاحظ وجود بندقية صيد بجواره.

قرَّر «أحمد» الهجوم على الفور فقال: هل أنت «آمبروز»؟ ...

ظل وجه الرجل هادئًا، وظلت كفاه تحملان ذقنه العريض القوي ... وظلت عيناه ترمقان «أحمد» في تأمُّل عميق.

رد الرجل ببطء: إنني لست «آمبروز»، وما دمت قد سألتني وأجبتك، فمن حقي أن أسألك سؤالًا تجيب عليه: من أنت؟ رد «أحمد»: هذا هو السؤال الذي لا أستطيع الإجابة عليه ضمن أسئلة قليلة أخرى ...

قال الرجل وقد ضاقت عيناه: من الواضح أنك لست لبنانيًّا ... ويغلب على الظن أنك من مصر ... فماذا تفعل هنا؟

رد «أحمد» على الفور: وهذا سؤال آخر لا أستطيع الإجابة عليه.

برقت في عيني الرجل نظرة غضب سريعة، ولكن اختفت على الفور وقال: لقد رفض زميلك وزميلتك أن يجيبا على السؤالين ... ولكن ذلك قد لا يستمر طويلًا. وفي نفس الوقت، فإن رجالي يحيطون الآن ببقيتكم في الجبل ... كما أننا عرفنا رقم التليفون الذي تحدثت إليه ... وسيكون من السهل جدًّا أن نعرف مع من تحدثت ... وسنُضطر إلى التخلُّص منها؛ فإن أي شيء خاص بـ «آمبروز» لا يصح أن يعرفه غيري ... ثم سكت لحظةً وقال وهو يعض على شفتيه: مهما كان ...

كان على «أحمد» أن يستجمع كل قوته وكل ما تعلَّمه من ثبات ليواجه هذه المعلومات الرهيبة ... فهذه أول مرة يواجه خصمًا بهذا الدهاء ... وأخذ ذهنه يعمل بسرعة ليحاول إيجاد حل قبل أن تقع «إلهام» في أيديهم ... ليس فقط «إلهام» بكل ما تمثِّله في قلبه، ولكن «إلهام» ... كأمل أخير للإنقاذ ... خاصةً إذا استطاعوا دخول مقر الشياطين الـ «١٣» حيث توجد جميع تقارير رقم «صفر»، وحيث جهاز اللاسلكي ... إن معنى ذلك دمار الشياطين الـ «١٣» تمامًا.

وكأن الرجل كان يقرأ ما يدور بذهن «أحمد» فقال: لعل من الأفضل أن نتفاهم ... وقبل أن ينتظر ردًّا من «أحمد» قال: إننا نعرف أنك ستتصل بزميلتك مرةً أخرى هذه الليلة ... وفي إمكانك أن تنقذها من الموت المؤكد إذا جعلتها تأتي إلى هنا ...

ومرةً أخرى قبل أن يرد «أحمد» مضى الرجل يقول: يجب أن تكونوا جميعًا تحت سيطرتنا المدة الباقية ...

وهنا قاطعه «أحمد»: المدة الباقية على أي شيء؟ ...

ابتسم الرجل لأول مرة، فقد أدرك أن «أحمد» لا يعرف مهمة «آمبروز» وقال: المدة الباقية على العملية ... وهي مسألة حياة أو موت بالنسبة لي ... أقصد بالنسبة لنا جميعًا ...

لم يكن «أحمد» قد أخطأ عندما سأل عن مهمة العصابة ... فقد كان يقصد تمامًا ما يقول.

كان يريد أن يؤكِّد للرجل أنهم لا يعلمون الكثير حتى لا يتعرضوا للتعذيب أو الموت ... وقد أحس أنه أصاب الهدف ... فقد ابتسم الرجل، ومعنى ذلك أنه راضٍ وسعيد بأنهم لا يعرفون الكثير.

عاد «أحمد» يفكر في الحديث الذي يمكن أن يقوله لـ «إلهام» ويحذِّرها ... إنهم طبعًا سوف يستمعون إلى ما يقول ... ولن يسمحوا له بأن يقول ما يريد ... وأدهش «أحمد» جدًّا أن الرجل مرةً أخرى أدرك ما يجول بذهنه فقال: إن اتصالك بصديقتك سيتم طبعًا تحت إشرافنا ... وسنكتب لك الكلام الذي تقوله ... وأي كلمة زائدة فسوف تعرضك كما تعرض بقية زملائك للموت السريع.

وظل وجه «أحمد» ساكنًا لا يعكس مشاعره المضطربة ... ونقل تفكيره فورًا إلى البندقية التي بجوار الرجل ... وقاس المسافة بينهما وبينه ... إن قفزةً سريعةً واحدةً تكفي لكي يصيب الرجل في وجهه بقدمه إصابةً قوية ... وفي نفس الوقت يتناول البندقية ويوجِّهها إليه، ويستطيع والرجل تحت رحمته أن يفرض شروطه ...

كان «أحمد» متأكدًا أنه مراقب ... وأن أكثر من بندقية ومسدس موجَّه إليه من أماكن مختلفة من الحجرة ... ولكن ذلك لم يكن يثنيه عن عزمه إلا في حالة واحدة ... أن تكون البندقية غير محشوة ... ففي هذه الحالة لن يتمكن من عمل أي شيء ... وفي ثوانٍ قليلة إمَّا أن يصبح جسده كالغربال من الرصاص، وإمَّا أن يتمكن الذين يراقبونه من الإمساك به تحت تهديد أسلحتهم.

ساد الصمت الحجرة ... وأخرج الرجل سيجارةً أشعلها، وأخذ يدخِّن بهدوء ... وهو ينظر إلى «أحمد»، ولكن نظرته كانت تتجاوز «أحمد» إلى بعيد ... كان يفكر بعمق، كأنه يحل مشكلةً عويصة.

وفجأةً رنَّ في الصمت صوت سيارة مقبلة ... توقفت أمام الباب، وسمع صوت أقدام تقترب، وفتح الباب ... والْتفت «أحمد» وعلى العتبة، كانت «ريما» تقف، وقد تمزَّقت ثيابها ... وعلى جانب وجهها إصابة واضحة ... وأدرك «أحمد» أن الكمَّاشة تنطبق عليهم ... فقد وقعت «ريما» و«عثمان» ... ولكن «عثمان» لم يدخل، وسمع «أحمد» صوت رجل يقول: لقد سقط الولد الأسمر من فوق الجبل ... وهو في الأغلب جثة هامدة في إحدى الحفر.

«عثمان» يعمل وحده

في هذه الأثناء كان «عثمان» يتعلَّق بغصن شجرة بارز في جانب الجبل، يحاول جاهدًا أن يرفع جسده إلى فوق ... متذكرًا المعركة التي دارت بينه وبين الرجال الأربعة ... والبسالة التي أبدتها «ريما» حتى وقعت بين أيديهم ... وكيف قفز في الهواء لاتقاء ضربة من خنجر وجَّهه أحد الرجال إليه فسقط من فوق الجبل ... ولولا هذا الغصن البارز لكان قد سقط من ارتفاع ألف متر إلى قاع الهاوية ...

كان يشعر في ذراعه الأيسر بألم حاد كالنار ... ولكنه كان صافي الذهن، مسيطرًا على أعصابه ... فقد أدرك أن «فهد» و«زبيدة» و«أحمد» قد وقعوا في أيدي المطاردين، وأنه و«إلهام» الآن وحدهما في مواجهة هذه العصابة القوية ... وكان عليه أن يتماسك وأن يصل إلى «إلهام» بأسرع ما يمكن، حتى يمكن أن يعاودوا المحاولة لإنقاذ باقي الشياطين ... وإيقاف «آمبروز» قبل أن يضرب ضربته التي لا يعرفون إلى من تُوجَّه ومتى وأين.

أخذ يطوِّح جسده في الهواء كبندول الساعة، ثم استجمع كل قوته ودار دورةً كاملةً في الهواء ... ووصلت قدماه إلى الغصن ... وأصبح كالكرة ... ثم وقف مسرعًا وأمسك بالغصن الذي فوقه، وهكذا استطاع أن يسترد أنفاسه ... وأخذ يتسلَّق الجبل ببطء، مستعينًا بالصخور البارزة، وبالأشجار النابتة ... حتى وصل إلى حافة الجبل ... فاستلقى على العشب الطري لحظات، وأخذ نفسًا عميقًا فرد له الهواء البارد المنعش بعض قوته وصفاء ذهنه ...

صعد إلى الشارع ... ووقف في الظلام وبدأ يفكِّر ... كان في حاجة إلى كرته المطاطة وإلى مسدس ... وإلى الحديث إلى «إلهام»، ووقف بجانب الطريق ينتظر سيارة ... ولحسن حظه شاهد سيارةً بها بعض الرهبان ... فأشار إليها ... وسرعان ما كانت تحمله إلى بيروت.

دق جرس الباب ثلاث دقات متلاحقة ... ثم مرةً رابعةً بعد قليل، وفتحت «إلهام» الباب ... نظرت إليه وأدركت كل شيء ... وأسرعت تُعد له مياهًا ساخنةً وضمادات، وجلست تستمع إليه وهي تُطهِّر له الخدوش الكثيرة التي أصابته أثناء الصراع والسقوط ... وأخذ يروي لها بالتفصيل ما جرى.

وبعد أن انتهى من حديثه قالت له: لقد اتصل بي «أحمد» ووعدني أن يتصل مرةً أخرى بعد ساعتين. وقد مضتا دون أن يتصل ... وما دام لم يعد إليكم فمعنى ذلك أن «أحمد» قد سقط في يدَي العصابة أيضًا ...

عثمان: من المؤكد أن هذا حدث.

إلهام: لم يبقَ سوى أنا وأنت.

عثمان: إنهم يظنون أني ميت.

ودق جرس التليفون في هذه اللحظة فقالت إلهام: إنه «أحمد»، إنهم لم يأسروه. أسرعت إلى التليفون وصاح «عثمان»: استمعي جيدًا!

ورفعت «إلهام» السماعة، وسمعت صوت «أحمد» من بعيد فقالت: «أحمد» أين أنت؟

رد «أحمد»: إنني في مطعم صغير عند بولونيا بعد ضهور الشوير مباشرة ... سأنتظرك في سيارة من سياراتنا بعد ساعة من الآن ... لا تتأخري للأهمية.

إلهام: وأين بقية الشياطين؟

أحمد: معي «عثمان» و«ريما»، ولم نعثر بعدُ على «زبيدة» و«فهد»، فانضمي إلينا!

إلهام: سأحضر حالًا.

وسمعت صوت السماعة وهو يغلق مع الطرف الآخر، ووضعت السماعة، والتفتت إلى «عثمان»: لقد أدركت كل شيء ...

قال «عثمان»: ماذا هناك؟

إلهام: لقد وقع «أحمد» في أيديهم أيضًا ... إنه يقول لي إنك معه ... وأنت الآن معي ومعنى ذلك أنه يكذب ... لقد أملَوا عليه الكلام الذي يقوله ... وهم يظنون أنك ميت، ويجب أن نضع خطتنا على هذا الأساس!

قفز «عثمان» من مكانه كالفهد وقال: فكري بسرعة ... سأدخل لأغتسل وأبدل ثيابي ثم ننطلق ... سنركب سيارتين!

وأسرع «عثمان» إلى الحمام، ووقف تحت المياه الباردة دقائق ردت إليه نشاطه، وعندما خرج كانت «إلهام» قد أعدت له كوبًا من الشاي وبعض البسكويت، فتناولهما وهو

واقف يقفز على قدميه ... قالت «إلهام»: لماذا لا تجلس؟! ظل «عثمان» يقفز مكانه وقال: إنني أسخن نفسي للصراع القادم، لقد اصطدمت بهم مرة، وقد استطاعوا أسر «ريما» وإسقاطي من فوق الجبل، هذه المرة يجب أن يحدث العكس ...

كانت «إلهام» تفكر وهي تنظر إلى «عثمان» ثم قالت: لقد عرفوا رقم تليفوننا وفي إمكانهم الآن أن يعرفوا مقرنا ... وتصوَّر لو وصلوا إلى هنا وعثروا على جهاز اللاسلكي والتقارير السرية التي يرسلها رقم «صفر». إن هذا يعني دمارنا، وانتهاء دورنا إلى الأبد.

توقف «عثمان» عن القفز وقال: معك حق ... يجب التخلُّص من كل هذا فورًا. وأسرعا إلى غرفة اللاسلكي، وأرسلت «إلهام» آخر تقرير لها من هذا المكان، وأخبرت رقم «صفر» أنهم سيحملون كل شيء له أهمية في حقائب يحتفظون بها في أحد الفنادق مؤقتًا ... ثم أخبرته بكل ما جرى في تلك الليلة حتى مكالمة «أحمد» التليفونية التي أملتها عليه العصابة ... وحدَّدت له المكان الذي ستقابل فيه «أحمد» كما طلب ... ثم حمل «عثمان» الجهاز وفكه ووضعه في حقيبة، وحملت «إلهام» التقارير في حقيبة أخرى. وقال «عثمان»: خذي معك بعض كرات الفسفور الصغيرة؛ فقد فكرت في خطة قد تكون قديمة ... ولكنها ممكنة التنفيذ.

وأسرعا بالنزول ... ركبا سيارتين حملتهما إلى فندق «كارلتون» الفخم على شاطئ الروشة حيث حجزا غرفتين، ثم نزلا بعد ذلك ... ووقف «عثمان» يشرح لـ «إلهام» خطته: ستذهبين وحدك ومعك بعض كرات الفسفور التي تضيء في الظلام، وعندما تصلين إلى المكان الذي حدَّده «أحمد»، لن تجدي «أحمد» طبعًا ... فسوف يستقبلك بعض أفراد العصابة، وبالطبع فإن المكان الذي ستذهبين إليه سيكون بعيدًا عن مكان اللقاء ... وعندما تتحرَّك السيارة بكم ألقي على مسافة كل عشرة أمتار بِكُرَة من الفسفور ... وسوف أتبع هذا الأثر الواضح.

إلهام: ولكنهم قد يلاحظون ذلك.

عثمان: سيعتمد كل هذا على مهارتك.

نظرت «إلهام» لحظات ثم قالت: اشترِ لي قطعة شوكولاتة مقسمة إلى مربعات. وفهم «عثمان» على الفور وأسرع يحضر لها الشوكولاتة ... وقالت «إلهام»: سآكل كل عشرة أمتار قطعة ...

وأكمل «عثمان» الحديث: ومع كل ورقة ستلقين بكرة الفسفور ... هيا بنا!

وانطلقت «إلهام» بسيارتها مسرعة، بينما انتظر عثمان نحو ربع ساعة ثم انطلق بسيارته خلفها. كانت الكرة المطاطة الجهنمية بجواره ... ومسدس أوتوماتيكي محشو

بالطلقات في حزامه ... ودماء المغامرة تسري في عروقه متدفقة ... وانطلقت السيارة تزمجر على الطريق، وغادر المدينة التي بدأت تنام، وانطلق في طريق الجبل ...

بعد ضهور الشوير بقليل بدأ «عثمان» يخفض من سرعة سيارته ويبحث على الطريق عن كرات الفسفور المضيئة ... وبدأت الكرات تظهر بانتظام بين مسافة وأخرى، ومضى يتبعها فترة، ثم وجدها تنقطع فجأة، وأدرك أنه يقترب من المكان الذي وصلت إليه «إلهام»، فاختار جانبًا من الطريق تكاثفت أشجاره ... ثم ركن السيارة فيه ونزل ...

سار «عثمان» على قدميه ... ووجد كرةً أخرى عند طريق فرعي ضيق، واستطاع على ضوء بطاريته أن يرى لافتةً مكتوبًا عليها طريق خاص، فربض في الظلام يراقب مدخل الطريق والبوابة التي تغلقه ... وبعد لحظات لاحظ أن حارسًا يأتي إلى الباب يختبره ثم يذهب ... وانتظر فترةً وهو ينظر في ساعته، وبعد عشر دقائق ظهر الحارس ثم اختفى. وخرج «عثمان» من مكانه واتجه إلى الباب الحديدي، ثم قفز فوقه برشاقة ... وعاود الاختباء في الظلام على الجانب. ولم يكن في إمكان أحد أن يراه ... فقد كانت سُمرة بشرته تجعله قطعةً من الظلام.

وأخذ يهز كرته الجهنمية في يده ويفكر ... هل يضرب ضربته بها؟ ... ولكن خشي أن تقفز في الظلام وتضيع ... وقرَّر أن يغيِّر خطته ... صعد على شجرة قريبة تجعله فوق الباب مباشرة، ثم نظر في ساعته ذات الميناء المضيء ... ومضت الدقائق بطيئة ... ثم سمع خطوات الحارس فوق الأرض الصخرية ... كان عملاقًا عريض الكتفين، وكان يصفِّر في سعادة وكأنه في نزهة، وكان «عثمان» يريد أن يضربه ضربةً واحدةً وينتهي منه ... وهكذا تدلَّى من غصن قوي حتى أصبح الرجل تحته بالضبط، ثم أرسل قدمه في ضربة عنيفة في رأس الرجل، سقط على أثرها دون أن ينطق ... وأسرع «عثمان» ينزل، ثم جر الرجل جانبًا وأخفاه بين الأشجار بعد أن وضع منديله في فمه، وربط يديه بحزامه ...

تقدَّم «عثمان» في الطريق الضيق، ومن بعيد شاهد أضواء المنزل الخافتة؛ فقد كانت الأشجار تحيط به من كل جانب، وتجعله بعيدًا عن العيون المتلصِّصة ... ووقف «عثمان» يرمق المنزل الخشبي مفكرًا ... من المؤكد أن هناك حرسًا خارج المنزل وداخله ... ومن المؤكد أن عليه ألا يخطئ ... فهو الوحيد الباقي من الشياطين غير أسير ... ولو وقع هو لانتهى كل شيء ...

كانت هناك أربع سيارات تربض في الظلام ... لاحظ «عثمان» على الضوء الخفيف الصادر من المنزل أن اثنتين منها من سيارات الشياطين ... وأخذ يفكِّر ... كيف يتغلَّب على الحراس خارج المنزل وداخله ...

وفجأةً ظهر رجل يدور حول المنزل ... ويضع في كتفه مدفعًا رشاشًا ... كانت المسافة بينه وبين «عثمان» لا تزيد عن خمسة عشر مترًا، وهي مسافة مثالية لاستخدام الكرة، التي يمكن أن يلاحِظ ارتدادها في الضوء الخفيف ويعثر عليها ... وهكذا وقف وأخذ يهز الكرة في يده، حتى أصبح الرجل في الوضع المناسب ثم أطلق الكرة ... وسمع اصطدامها برأس الرجل الذي تمايل ثم سقط على ركبتيه وانكفأ وجهه ... وسقطت الكرة على بعد عدة أمتار منه ... وأسرع «عثمان» إليه وجرَّده من مدفعه الرشاش ... ثم فتَّشه بسرعة ... ووجد سلسلةً من المفاتيح أخذها على الفور.

جر «عثمان» الحارس الثاني كما فعل مع الحارس الأول، ووضعه بين الأشجار وربط فمه، ثم أنامه على وجهه وربط يديه مع قدميه بحزامه ... وحمل المدفع وتقدَّم من المنزل وأخذ يدور حوله محاذرًا.

كانت الأبواب والنوافذ كلها مغلقة ... ولم يكن في إمكانه أن يتبيَّن شيئًا ... فاختار بابًا جانبيًّا قدَّر أن الحارس يخرج منه، ثم أخذ يجرِّب المفاتيح في هدوء، وسرعان ما دار أحدها في الباب ... وانتظر «عثمان» لحظات ثم دفع الباب في رفق ... وسمع صوتًا يقول: أكل شيء على ما يرام؟

فتح «عثمان» الباب دفعةً واحدة، ودخل رافعًا المدفع بين يديه ... كانت غرفة طعام، وكان المتحدث يجلس ووجهه للباب وهو يتناول طعامه ... وعندما وقعت عيناه على «عثمان» بدت فيهما نظرة ذعر، وكان في فمه لقمة وقفت مكانها وقد تدلَّى فكه الأسفل ...

وأشار «عثمان» بالوقوف ... ودون أي مقاومة وقف ... وأشار له «عثمان» أن يستدير فاستدار ... ومد «عثمان» يده ففتشه بسرعة، وأخرج المسدس الذي كان يحمله، وفي تلك اللحظة سمع صوتًا خلفه يقول: أنت إذن لم تمت بعد؟!

الرجل الرابع

ألقى «عثمان» بنفسه على الأرض عندما انطلقت رصاصتان أصابتا الرجل الذي كان «عثمان» يفتشه ... ونام «عثمان» على ظهره وأطلق دفعةً من الرصاص من مدفعه الرشاش في اتجاه الصوت ... ولكن الرجل كان قد اختفى خلف الباب ... ووجد «عثمان» نفسه وحيدًا ... وتأكد أنهم سوف يحاصرونه على الفور ... ففتح النافذة وقفز منها إلى الخارج ... وطرأت على ذهنه فكرة قرَّر أن ينفِّذها فورًا ... أسرع إلى إحدى السيارتين الكبيرتين ... وجرَّب المفاتيح التي أخذها من الحارس، وسرعان ما دارت السيارة ... وأسرع يبتعد بها في الطريق الضيق ... وظهر ثلاثة رجال أمام الباب ... وأدار «عثمان» السيارة فجأةً رغم ضيق الطريق، واندفع عائدًا إلى المنزل، وعندما اقترب ألقى بنفسه خارج السيارة، وتركها تندفع في اتجاه المنزل، وسمع صيحات فزع ... ثم اصطدمت السيارة بالمنزل صدمةً داوية، واشتعلت فيها النيران ... وأسرع «عثمان» يدور بين الأشجار متجهًا إلى المنزل من الخلف.

في هذه الأثناء كان الشياطين الخمسة ... «أحمد» و«إلهام» و«فهد» و«ريما» و«زبيدة» يتعرَّضون لتجربة رهيبة ... كان الرجل الذي قابله «أحمد» والذي يناديه الرجال باسم الزعيم مُصِرًّا على الحصول على اعترافات الشياطين الخمسة ... حاول إرهابهم ولكنهم لم يعترفوا بشيء ... حاول إغراءهم ولكنهم رفضوا أي إغراء ... وعندئذٍ قرَّر قتلهم واحدًا واحدًا ... بترتيب الحروف الهجائية ... وكان أحمد أول من وقف لتنفيذ هذا الحكم فيه أمام زملائه ... وكان زعيم العصابة يرجو أن يخشى «أحمد» الموت فيتحدَّث ... أو تنهار إحدى الفتيات ... وهكذا وقف «أحمد» ورفع أحد أعوان الزعيم مسدسه ووضعه في أذن «أحمد» ... وبدأ العد التنازلي ... من خمسة إلى أربعة ... إلى ثلاثة ... إلى اثنين ... وفي تلك اللحظة دوَّت طلقات الرصاص ... وسمعوا صوت السيارة، فأوقف الزعيم كل شيء وقفز

إلى الخارج، وكان هذا كافيًا لكي يرتبك حامل المسدس لحظةً كانت كافيةً ليضربه «أحمد» القريب منه لكمةً واحدةً أطاحت به، وقبل أن يفكِّر في الوقوف كان «فهد» قد قفز في الهواء واشتبك معه في صراع انتهى بغيبوبة كاملة للرجل.

قفز الشياطين الخمسة إلى الخارج وقالت «إلهام»: إنه «عثمان»!

وكان نور المنزل قد قُطع، ولم يبقَ سوى ضوء النيران المشتعلة في السيارة، والتي بدأت تمتد إلى المنزل الخشبي ... وظهر «عثمان» عند نهاية المنزل لاقتحامه وإنقاذ الشياطين الخمسة عندما وجدهم يخرجون ... وفي هذه اللحظة سمعوا صوت سيارة تنطلق مبتعدة ... وكانت تحمل الزعيم ومعه من بقي من رجاله.

وأسرع الشياطين الستة إلى سياراتهم، ولكن «أحمد» صاح: «فهد» و«إلهام» و«زبيدة» و«ريما» يبقون لتفتيش المنزل ... وقفز هو و«عثمان» إلى السيارة وانطلقا، ولكن في تلك اللحظة دوَّى انفجار ضخم، نسف الطريق الضيق ... وأحدث فجوةً واسعةً جعلت من المستحيل على سيارة الشياطين متابعة السيارة التي فرَّت.

أوقف «أحمد» السيارة في الوقت المناسب، وعاد هو و«عثمان» إلى المنزل المحترق، وبدأ الشياطين تفتيشًا سريعًا فيه ... وقال «أحمد»: يجب أن نغادره بسرعة قبل أن تمتد النيران، فسوف يلفت الانفجار أنظار الجيران وقد يبلِّغون الشرطة.

تم تفتيش سريع للمنزل، ثم غادره الشياطين الستة وقد حملوا ما وجدوا من أوراق، وأسرعوا إلى المرور خلال الأشجار المحيطة بالمنزل للوصول إلى الطريق العام. وقالت «إلهام»: من الأفضل أن نتفرَّق.

ريما: وأين نلتقي؟

أحمد: في مقرنا طبعًا ...

إلهام: لقد أخليت المقر من جهاز اللاسلكي والملفات الخاصة بالتقارير ... فقد كنت أخشى أن يعرفوا العنوان عن طريق رقم التليفون.

أحمد: تصرُّف معقول جدًّا. وأين جهاز اللاسلكي والملفات الآن؟

إلهام: في فندق كارلتون.

أحمد: إذن اذهبي أنت و«زبيدة» و«ريما» إلى هناك، وسأذهب مع «فهد» و«عثمان» إلى المقر مؤقتًا.

إلهام: قد تتعرَّضون لهجوم!

أحمد: أرجو ذلك ... وسنكون في انتظارهم.

وتفرَّق الشياطين الستة وبعد ساعة تقريبًا كانت «ريما» و«زبيدة» و«إلهام» في فندق كارلتون، وكان «أحمد» و«عثمان» و«فهد» في مقر الشياطين بشارع أحمد شوقي، وكانت معهم مجموعة الأوراق التي استولوا عليها من المنزل المحترق. نظر «أحمد» إلى ساعته ... كانت قد تجاوزت الرابعة صباحًا فقال: سننام بالتناوب. رد فهد: سآخذ نوبة الحراسة الأولى فلست أحس برغبة في النوم ... وسأقوم بفحص هذه الأوراق لعلي أجد فيها شيئًا.

وبعد لحظات كان «أحمد» و«عثمان» قد استغرقا في نوم عميق، بينما جلس «فهد» في الصالة يفحص الأوراق وقد وضع أمامه كوبًا من الشاي، ومسدسًا محشوًّا بالرصاص.

كانت الأوراق التي جمعوها على عجل مكوَّمةً أمامه، وأخذ يفردها ويضعها بترتيب بجواره ... وبين الأوراق عثر على مظروف صغير جدًّا، مغلق، وفتحه «فهد» بحذر ومد أصابعه وأخرج ما به ... كان من شرائط أفلام كاميرا صغيرة ... وأمسك «فهد» بأحدها ورفعه أمام عينيه في الضوء ... كان ثمة وجه شخص غير واضح المعالم ... وأمسك بشريط آخر ... ووجد نفس الشخص في مشهد آخر ... وقام «فهد» إلى الغرفة السوداء في المقر السري ... وأخذ مجموعةً من الورق الحساس وبدأ يطبع الفيلم مُكبَّرًا بقدر ما يستطيع ... وبعد نصف ساعة تجمَّعت أمامه مجموعة من الصور لهذا الشخص في مختلِف زوايا وجهه. كان مجموع الصور ١٦ صورة، وبدت بعض الصور مختلفةً عن الأخرى ... نفس الرجل ولكن شعره طويل مرة ... وقصير مرةً أخرى ... أشيب الشعر مرة وأسوده مرةً أخرى، جوانب فمه منتفخة مرة ... وهابطة مرةً ثانية ... كان واضحًا أن ثمة عمليات تنكُّر بارعةً في كل مرة تتم على نفس الوجه. وأخذ «فهد» يتذكَّر كل الوجوه التي مرَّت أمامه أثناء وجوده بالمنزل المحترق، فلم يجد بينهم وجهًا واحدًا يمكن أن يكون لهذا الرجل.

وعاد «فهد» إلى الأوراق يقلِّبها ... كانت مجموعة من الخرائط لبيروت والجبل ... ولبعض الأماكن الأثرية ... وعليها بعض العلامات بالقلم الرصاص ... ومجموعة من الأرقام ...

وفي مظروف آخر أخرج «فهد» ورقةً زرقاء رقيقةً جدًّا ... مكتوبة على آلة كاتبة دقيقة الحروف ... وبدأ «فهد» يقرأ. «تقرير إلى الزعيم عن تحرُّكات المجهول.

يانك تورو «وشهرته المجهول»

قاتل محترف يعمل وحده، ولا يعرفه أحد. الاتصال به يتم عن طريق عالم الجريمة السفلي بواسطة رقم تليفون لا يعرفه إلا خمسة أشخاص في خمس

عواصم. لا يرد على التليفون ولكن عنده جهاز تسجيل يسجل المكالمات التي تصله، فيقوم هو بالتحريات عمن اتصلوا به وتركوا أسماءهم وطلبوا خدماته.

بعد أن يقوم بالتحري والتأكد من جدية الطلب المقدم له ... يحدِّد الثمن الذي يطلبه للعملية. على شريط مسجل بصوت ليس صوته ... ويتركه مركبًا على التليفون، وبعدها يحدِّد مكان وزمان الدفع بواسطة جهاز التسجيل.

وصل إلى القاهرة بجواز سفر صحيح ... ولكن باسم رجل مات هو «بيرد آمبروز» ... ونزل في فندق شبرد ... وأثناء وجوده في القاهرة تردَّد بعض مرات على تُجار الآثار ولكنه لم يشترِ شيئًا.

معه خمس حقائب بها ملابس ومجموعة كبيرة من الأصباغ وأدوات الحلاقة الكاملة ... إحدى الحقائب بها مجموعة من الآلات الدقيقة التي تكاد تكون مصنعًا ميكانيكيًّا صغيرًا.

لا يخرج ليلًا مطلقًا، ومع ذلك حاولنا الاتصال به في غرفته بالفندق، ولكن أحدًا لم يرد على التليفون ... اكتشفنا بعد سفره أنه كان يستأجر حجرةً في فندق سميراميس تحت اسم مستعار. حاولنا معرفة سفره إليكم ... ولكنه حجز عدة تذاكر على عدد من شركات الطيران في مواعيد مختلفة ... وفجأة اختفى دون أن نستطيع متابعته.

ليست له علامات مميَّزة في جسده إلا أن كتفه اليسرى أعلى من كتفه اليمنى قليلًا ... ولكن هذه العلامة يخفيها بزيادة الحشو في ملابسه فوق كتفه اليمنى.

انتهى التقرير.»

قضى «فهد» نحو ساعتين يفحص بقية الأوراق ... ثم قام فذهب إلى الشرفة ففتحها وأخذ يستقبل بشغف نسمات الفجر العذبة. ويملأ رئتيه بها، ثم دخل فأعد لنفسه كوبًا من الشاي وبعض الطعام، وعاد إلى الشرفة وجلس يتناول إفطاره. عندما دخل عليه «أحمد» مبتسمًا وهو يقول: صباح الخير ... تستطيع الآن أن تنام.

فهد: لقد فات وقت النوم ... وهناك معلومات على جانب كبير من الأهمية ... في هذه الأوراق، بالإضافة إلى مجموعة صور ...

وقام «فهد» فذهب إلى الصالة وعاد بالأوراق مرتبة، ووضع أمام «أحمد» التقرير الأزرق، ومجموعة الصور ... وتناول «أحمد» التقرير والصور متلهفًا ... بينما دخل «فهد» المطبخ يعد لـ «أحمد» كوبًا من الشاي.

أخذت عينا «أحمد» تجريان على السطور باهتمام بالغ، حتى إذا انتهى منه كان «فهد» قد عاد ومعه كوب الشاي ... فقال «أحمد»: هل توصلت إلى استنتاجات معينة؟

فهد: طبعًا!

أحمد: إن أهم ما لفت نظري في هذا التقرير أنه يعني أن «آمبروز» أو «يانك تورو» حسب اسمه الأصلي يعمل وحده. فمن هم إذن هؤلاء الرجال الذين اصطدمنا بهم أمس؟

فهد: هذا هو السؤال الذي طرحته على نفسي!

أحمد: لقد كانوا مهتمين بـ «آمبروز» جدًّا حتى ظننت أنهم رجاله ... ولكن هذه الصور وهذا التقرير يؤكدون أنهم يبحثون عنه مثلنا تمامًا.

فهد: لعلهم ظنوا أننا من أعوان «آمبروز»!

أحمد: لا ... أعتقد أنهم ظنوا أننا مثلهم نبحث عن «آمبروز»، وظنوا أننا نعرف مكانه.

فهد: هذه أول مرة نلتقي بأشخاص يبحثون عن مجرم بنفس الاهتمام الذي نبحث عنه وليسوا من رجال الشرطة.

أحمد: إن هذا شيء في غاية من الغرابة ... لقد خضنا صراعًا مميتًا من أجل القبض على «آمبروز» ... مع أشخاص يحاولون القبض عليه هم أيضًا ...

وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون في الصالة ... وأسرع «فهد» وهو يقول: لعلها إحدى الفتيات تتحدَّث من فندق كارلتون.

«رقم ١٠١» يتحدَّث

رفع «فهد» سماعة التليفون، وسمع صوتًا غريبًا على الطرف الآخر يتحدث. كان صوتًا خشنًا هادئًا يقول: أتحدث إليكم باسم الزعيم. لقد استمعنا حالًا إلى حديثكما عن التقرير وفهمنا أنكم تبحثون عن «يانك تورو» مثلنا ... والزعيم يعرض عليكم أن نتعاون في البحث عنه ...

كان ذهن «فهد» يعمل بسرعة ... كيف استمعوا إلى حديثه هو و«أحمد»؟ إن ذلك مستحيل، وهذه الصفقة المعروضة للتعاون، ما هو القرار الذي يُتخذ بشأنها؟

قال «فهد»: هل عندك شيء آخر تقوله؟

ردَّ الرجل: فقط إننا نعرف مكان الفتيات الثلاث، وبالطبع فإن سلامتهن تهمكم.

فهد: هل هذا تهديد؟

الرجل: ليس تمامًا.

فهد: من أنت؟!

الرجل: أستطيع أن أقول لك أي اسم ... ولكننا نتعامل بالأرقام، إنني رقم ١٠١، وسوف أتصل بك بعد نصف ساعة ... فسوف تناقشون الأمر بينكم طبعًا.

وأغلق الرجل السماعة، وكان «أحمد» ما زال في الشرفة، فأسرع «فهد» إليه، وروى له ما دار في المكالمة التليفونية، فقال «أحمد»: شيء جديد مدهش في هذه المغامرة!

فاتصل بالفتيات فورًا وانقل إليهن تحذيرًا ... وسأذهب لإيقاظ «عثمان» للتشاور ...

أخذ «فهد» يبحث عن رقم فندق كارلتون في الدليل حتى وجده، واتصل بـ «إلهام» وروى لها المكالمة، فقالت: لقد اتصل بنا «رقم ١٠١» هذا، وحذَّرنا من الخروج من الفندق قبل أن يتفق معكم ... إننا طبعًا نستطيع أن نتصرَّف، فلا تقلقوا علينا.

وصل «أحمد» إلى الصالة في تلك اللحظة وخلفه «عثمان» ... وأمسك سماعة التليفون وتحدَّث إلى «إلهام» بصوت هامس: فلتأخذن تحذيرهم لَكُنَّ مأخذ الجد ... لا تتحركن من الفندق إلا بمكالمة مني أو رسالة كلمة السر ... أربعة يساوي واحد ... وسوف أتفاهم أنا و«فهد» و«عثمان» ... ونتصل بكن بعد قليل.

وأسرع «عثمان» فأعد كوبًا من الشاي، بينما كان «أحمد» و«فهد» يبحثان عن جهاز الإرسال الذي نقل حديثهما إلى مجموعة الزعيم ... ولكن لم يعثرا على شيء مطلقًا رغم بحثهما الدقيق في كل مكان.

أشار «أحمد» إلى «فهد» و«عثمان» بيده فدخلوا جميعًا الحمام وفتح «أحمد» حنفية الدش على اتساعها ... فنزل الماء يقرقع في البانيو.

قال «أحمد» بصوت خافت: إن مجموعة الزعيم تملك أجهزةً متطورةً جدًّا ... هناك جهاز حديث مرتفع الثمن يستطيع الاستماع إلى أي حديث على مسافة مائة متر ... ومعنى هذا أن الزعيم ومجموعته قريبون منا ... ولكن صوت المياه لن يجعلهم يستمعون إلينا ... خاصةً إذا تحدثنا بصوت منخفض ...

عثمان: ماذا حدث بالضبط؟

أحمد: إن مجموعة الزعيم التي اشتبكنا معهم أمس يعرضون علينا التعاون.

عثمان: تعاون على ماذا؟

أحمد: إنهم يبحثون عن «آمبروز» ... أو «يانك تورو». هذا اسمه الأصلي.

عثمان: شيء غير معقول!

فهد: إنني أتصوَّر أنها مصيدة لنا.

أحمد: ليس هذا مستبعدًا ... ولكن لا بأس أن نتعاون معهم في حالة واحدة.

عثمان: ما هي؟

أحمد: إذا كانوا يعرفون مهمة «يانك تورو» بالضبط؛ فهذا يسهِّل مهمتنا.

عثمان: وما هي الضمانات أنهم لن يغدروا بنا؟

أحمد: ليست هناك ضمانات أهم من يقظتنا.

فهد: عندي اقتراح ...

والتفت إليه «عثمان» و«أحمد» فقال: نحن نحتاج إلى مجموعة لتغطينا؛ فالزعيم ورجاله يعرفوننا جميعًا، ولكن لو استطعنا طلب بقية المغامرين الـ «١٣» اليوم؛ فمن الممكن أن يقوموا بتغطيتنا دون أن يشك فيهم أحد.

أحمد: فكرة ممتازة جدًّا.

عثمان: المشكلة أن جهاز اللاسلكي ليس موجودًا للاتصال برقم «صفر» ليتولَّى الاتصال ببقية الشياطين ليحضروا.

أحمد: سنغامر بالاتصال تليفونيًّا الآن، وسنطلب منه تجهيز مقر جديد لنا، لينزل به بقية الشياطين الـ «١٣» عندما يصلون …

وقام «أحمد» وأحضر جهاز التليفون إلى الحمام … وأدار الرقم السري لرقم «صفر»، وسرعان ما سمع صوته يقول: هالو.

قال «أحمد»: ش. ك. س يتحدَّث؟

رقم صفر: رقم «صفر» يستمع. ماذا حدث؟ إنكم لم تتصلوا منذ أمس، هل جهاز اللاسلكي معطل؟

أحمد: لا … ولكن نقلناه من مكانه … لقد عرفت مجموعة من الرجال تسمي نفسها مجموعة الزعيم بالمقر السري لنا … ونرجو تغييره … وفي نفس الوقت نرجو الاتصال ببقية الشياطين الـ «١٣» ليحضروا فورًا إلى بيروت اليوم إذا أمكن … فإن مجموعة الزعيم تعرفنا نحن الستة الموجودون في بيروت حاليًّا، وقد نحتاج إلى تغطية من مجموعة غير معروفة للزعيم ورجاله …

ثم روى «أحمد» لرقم «صفر» كل ما حدث في الليل، وقرأ عليه التقرير الذي عثروا عليه في مقر الزعيم، ووصف له الصور التي حصلوا عليها …

قال رقم «صفر»: لقد قمتم بعمل عظيم … والآن ما هي خطوتكم التالية؟

أحمد: لقد عرض علينا الزعيم التعاون معه في البحث عن «يانك تورو»، وسوف أقبل العرض إذا لم يكن عندك مانع.

رقم صفر: إنني أثق أنكم ستتصرفون بحذر، وما يهمني هو معرفة سبب وصول «يانك» هذا إلى بيروت.

أحمد: هذا ما فكرت فيه، وما يدفعني إلى قَبول عرض هذا الزعيم.

رقم صفر: هل تحتاجون إلى حماية من رجال الشرطة؟

أحمد: سنتصل بك إذا احتجنا.

رقم صفر: سيكون المقر الجديد جاهزًا بعد بضع ساعات، وسيكون فيه قدر أكبر من الخداع والتمويه.

وأغلق «أحمد» السماعة، ثم أغلق حنفية الدش، وفتح باب الحمام وخرج وخلفه «عثمان» و«فهد» … ونظر «فهد» في ساعته وقال: سيتصلون بنا بعد خمس دقائق …

أحمد: قل لهم إننا موافقون، وإنني سأتحدث إليهم.

وجلس الثلاثة في الشرفة يتحدثون وكأنهم يستأنفون حديثًا سابقًا، فقد كانوا على ثقة من أن مجموعة الزعيم تسمعهم. وبعد مرور الدقائق الخمس دق جرس التليفون مرةً أخرى، وكان «رقم ١٠١» هو المتحدث.

قال «فهد»: لقد قَبِلنا التعاون معكم ... ولنا شروط.

قال الرجل: وما هي شروطكم؟ ...

قال فهد: سيتحدث إليكم زميلي.

وأمسك «أحمد» بالسماعة وقال: إن شروطنا هي ... أولًا: عدم التعرُّض للفتيات الثلاث، وتركهن يتحركن بحرية ... ثانيًا: معرفة الهدف الذي حضر من أجله «يانك تورو» إلى بيروت.

ساد الصمت لحظات ثم قال الرجل: إن الشرط الأول مجاب ... أمَّا الشرط الثاني فيحتاج إلى مناقشة، نريد مندوبًا منكم للحديث معه؛ فلنا شروط نحن أيضًا.

أحمد: سأكون هذا المندوب، ولست في حاجة لأن أؤكد أنني لن أكون رهينة؛ فنحن لا تهمنا حياتنا.

الرجل: أعطيك كلمتي أنك لن تتعرَّض لأي مخاطر.

أحمد: الزمان والمكان.

الرجل: بعد ثلاث ساعات من الآن عند بداية طريق برمانا، سننتظرك في سيارة بيضاء رقم ٩٣١١٨٧.

أحمد: سأكون هناك.

وقضى «أحمد» ساعتين يتحدَّث مع «عثمان» و«فهد»، وقبل أن ينزل بدقائق اتصل بهم رقم «صفر» ... ومرةً أخرى أخذ «أحمد» التليفون إلى الحمام حيث فتح الدش، وعلى صوت المياه المتساقطة عرف العنوان الجديد لمقر الشياطين الـ «١٣»، وأخبر رقم «صفر» عن موعده مع الزعيم.

انطلق «أحمد» في سيارة تاكسي إلى الموعد المتفق عليه ... وكان قد تسلَّح بمجموعة من الآلات الدقيقة الموضوعة في ملابسه، والتي يصعب اكتشافها. وبعد ساعة تقريبًا وصل إلى أول طريق برمانا، الصاعد إلى الجبل، ووجد السيارة في انتظاره وبها رجل واحد ... ودون أن يتحدَّث فتح الباب الجانبي ودخل، وتحركت السيارة على الفور.

كان «أحمد» متنبِّهًا للغاية للطريق الذي تقطعه السيارة، ومضت نصف ساعة وهي تمضي مسرعةً تلتوي مع الطريق الصاعد إلى الجبل، حتى أشرفت على مبنًى كبير كُتب

عليه ورشة تصليح سيارات ... فدخلت مسرعة، وتوقَّع «أحمد» أن تقف ... ولكن الباب الذي كان مفتوحًا أُغلق خلفهم، ومضت السيارة لدهشته الشديدة مسرعةً وخرجت من الطرف الآخر للورشة ... وأُغلق باب آخر، وأدرك «أحمد» أن الورشة ليست إلا شعارًا يخفي الطريق الذي مضت فيه السيارة بين أشجار التفاح، ثم انحرفت يسارًا بعد نحو خمسة كيلومترات ووقفت.

أشار السائق إلى «أحمد» فنزل ... وقدم رجلان من بين الأشجار فتَّشاه بحثًا عن أسلحة، ثم ربط أحد الرجلين عينيه وأمسكه من ذراعه وقاده في ممشًى غير مرصوف ... وأحس «أحمد» بالغيظ، فلم يكن يتوقع أن تتم كل هذه الإجراءات ... وبعد لحظات سمع صوت طلقات رصاص متقطعة ... وأخذ الصوت يرتفع تدريجيًّا حتى أحس «أحمد» أنه قريب منه، وقرَّر على الفور أن يرفع العصابة عن عينيه، ولكن قبل أن يفعل ذلك، امتدت يد فنزعت العصابة، وبهره ضوء الشمس لحظات ... ثم شاهد الزعيم أمامه، وبجواره مائدة رُصَّت عليها مجموعة من البنادق ...

تبادل «أحمد» والزعيم نظرات صامتة ... ثم أشار الزعيم إلى مجموعة البنادق قائلًا: إنني أتمرَّن على الأهداف المتحرِّكة ... لعلك تشاركني المران.

على اليمين كان هناك مبنًى من الصخر، وعلى امتداده سياج من الأسلاك الشائكة. ولاحظ أن ثمة فُوَّهات لمدافع رشاشة تطل من السياج ومن بعض الفتحات في المبنى.

قال الزعيم: هذا هو مقرنا السري.

أحمد: إنه أشبه بالقلاع.

الزعيم: نحن نتوقع معركةً مع «يانك» ومع الشرطة.

أحمد: هل نبدأ الحديث؟

الزعيم: ما زال أمامنا متسع من الوقت.

وأمسك الزعيم ببندقية وضعها في يد «أحمد»، ثم أمسك ببندقية أخرى ووقفا بجوار أحدهما الآخر، ثم أشار الزعيم بيده ... وعلى الفور ظهرت دمية من الخشب لرجل يجري بجوار السياج لا يظهر منه سوى رأسه وجزء من كتفه. ولاحظ «أحمد» أنه يشبه «يانك» ... ورفع كل منهما بندقيته، وانطلقت رصاصتان بين كل واحدة وأخرى أقل من ثانية، وانفجر رأس التمثال ... وسُمع صوت يقول: لا بأس.

طلقتان إحداهما تكسب

ظهر رجل من خلف السياج ... كان هو الذي يحرِّك الدمية ... وفحص رأس الدمية وقال: الرصاصة الثانية من البندقية الميزر تكسب.

والتفت الزعيم إلى «أحمد» قائلًا: الآن أستطيع أن أتحدث معك.

أدرك «أحمد» أنه كان في امتحان للتصويب للحكم على مدى كفاءته كمقاتل ... وأنه أصاب الهدف. وأدار «أحمد» رأسه فوجد نفسه أمام باب مغلق في المبنى الصخري. وتحرَّك الباب إلى أسفل وليس إلى الجانبين؛ فظهر باب آخر من الزجاج السميك، أدرك أنه من النوع الذي لا يؤثِّر فيه الرصاص. وتحرَّك هذا الباب جانبًا. وأشار إليه الزعيم بالدخول ثم دخل وراءه.

كان المقر من الداخل قلعةً حقيقيةً من الأسلحة ... ودُهش «أحمد» لكل هذه الاستعدادات، وقال الزعيم كأنه يقرأ خواطره: لقد قضيت أعوامًا في بناء هذا المقر ليكون حصنًا يمتنع على كل هجوم ...

أحمد: ولكن لماذا؟

الزعيم: هذا ما ستعرفه الآن عندما نتحدَّث.

وجلسا على كرسيين متقابلين ... وأحضر أحد الرجال عربةً صغيرةً عليها مختلِف أنواع المشروبات. وطلب «أحمد» كوبًا من عصير البرتقال. وقال الزعيم: كنت أظن أننا فقط الذين يعلمون بزيارة «يانك تورو» لبيروت ... فكيف عرفتم بذلك؟

أحمد: فلنقل إن صديقًا مُعيَّنًا أخبرنا.

الزعيم: من هو؟

أحمد: لا إجابة.

الزعيم: إننا يجب أن نكون صرحاء جدًّا حتى يمكن أن نتعاون.

أحمد: للأسف هناك حدود للمعلومات التي يمكن أن أقولها لك ... وما يهمني أن أعرف لماذا حضر «يانك» إلى بيروت.

تمهَّل الزعيم لحظات، وأخذ يهز قطع الثلج في الكوب الذي يحمله، ثم سدَّد إلى «أحمد» نظرةً طويلةً فاحصةً وقال: ليقتلني!

أصابت «أحمد» دهشة خاطفة وقال: أنت؟!

الزعيم: نعم ... ليقتلني ... أو أقتله.

أحمد: ولكن لماذا؟!

الزعيم: لقد طلبت أن تعرف لماذا حضر «يانك تورو» إلى بيروت ... أمَّا لماذا يريد أن يقتلني فتلك قصة لا يهمك سماعها.

أحمد: وما هو المطلوب منا بالضبط؟

الزعيم: إن «تورو» يعرفني ويعرف أكثر أعواني، لهذا يصعب علينا الاقتراب منه والقضاء عليه قبل أن يقضي عليَّ ... أمَّا أنتم فإنه لا يعرفكم، وسيكون من السهل عليكم الإجهاز عليه دون أن يشك فيكم ... لقد اختبرتك الآن وعرفت أنك رامٍ ماهر ... بل أمهر ممَّا توقعت بكثير ... وإذا كنتم جميعًا على هذا المستوى، فسوف تقضون عليه بمجرد ظهوره.

أحمد: ولكن «تورو» لا يستطيع مهاجمتك في هذا المكان مطلقًا. إن فرصته لا تزيد على واحد في المليون.

الزعيم: إنك لا تعرفه، أمَّا أنا فأعرفه جيدًا. ثم إنني لن أظل سجينًا هنا إلى الأبد ... فلا بد أن أخرج وأسافر. وسيكون «تورو» في مكان ما في انتظاري، والحل الوحيد هو الخلاص منه.

كان «أحمد» يريد أن يعرف أكبر قدر من المعلومات قبل أن يقول كلمته، فاستمر في الحديث، قائلًا: إنك لست لبنانيًّا؟

الزعيم: لا.

أحمد: لماذا إذن جئت إلى لبنان؟

الزعيم: لهدف مُعيَّن يتحقَّق في الأيام القادمة ثم أغادر لبنان.

أحمد: هذا الهدف الذي يريد «يانك تورو» أن يقتلك من أجله.

ضاقت عينا الزعيم لحظات ثم قال: إنك شديد الذكاء.

أحمد: وأنت لا تريد أن تقول لي على هذا الهدف الذي تتصارع أنت و«تورو» عليه؟

الزعيم: نعم؛ لأن هذا لا يهمك.

أحمد: إنه يهمني جدًّا ... ولا بد أن أعرفه.

الزعيم: لقد رفضت أن تجيب على بعض أسئلتي ... ومن حقي أن أمتنع عن الإجابة على بعض أسئلتك أنت أيضًا.

أحمد: في هذه الحالة أرفض التعاون معك.

الزعيم: قد تفكِّر قليلًا إذا عرفت أنني سأدفع لكم ١٠٠ ألف ليرة ...

أحمد: إن النقود لا تُهمُّني كثيرًا.

الزعيم: إن رجلًا يرفض النقود ... هو رجل خطير ...

أحمد: إننا لا نعمل من أجل النقود.

تصلَّب وجه الزعيم وقال: أنت تعمل إذن مع الشرطة؟!

أحمد: ليس بالضبط.

وقف الزعيم فجأةً وقد بدا عليه الغضب وقال: لقد كنت تخدعني طول الوقت. إنك تعمل مع الشرطة ... وهذا يُغيِّر اتفاقنا كله.

كان التحوُّل مفاجئًا، ولكن عضلةً واحدةً في وجه «أحمد» لم تتحرَّك وقال: لقد كنت أتصوَّر أنك تحترم كلمتك.

لم يردَّ الزعيم، بل غادر المكان فجأةً من باب جانبي، وسرعان ما ظهر رجلان أحاطا بـ «أحمد» سريعًا، ثم جرَّاه إلى باب جانبي ضيق ... ونظر «أحمد» إلى أحد الرجلين وهو يسير بجواره ... ضخم الجثة ... يعرج قليلًا ... يلبس نظارات طبية ... وتذكَّر كل شيء، فتظاهر بأنه قد تعثَّر ومال على أذن الرجل وقال: «سامي»؟!

أحس «أحمد» بيد الرجل التي تمسك به وهي ترتعد بشدة، وأدرك أنه قد أصاب عندما عرف في هذا الرجل «سامي صيدح» ... الرجل الذي أرسل البرقية إلى «يانك تورو» في القاهرة ... وقام الرجلان بتفتيشه وجرَّداه من كل ما يحمل.

قذف الرجلان بـ «أحمد» في غرفة صغيرة جدرانها من الصخر الأصم ... يصل إليها ضوء خفيف من فتحة مُسوَّرة بالقضبان في السقف ... وتحسَّس «أحمد» الباب، كان من الصلب المصفَّح، ولا سبيل إلى اقتحامه ... وبعد أن دار دورةً صغيرةً استكشف فيها جدران الغرفة وأرضيتها؛ تأكد أن أي مجهود يبذله في الخروج منها لن يكون مجديًا إلا بمساعدة من الخارج، خاصةً والأدوات الدقيقة التي كان يحملها لمثل هذه المآزق قد جُرِّد منها ...

ونظر في ساعته ... كانت قد تجاوزت الحادية عشرة صباحًا ... ورغم الموقف الخطير الذي كان فيه ... فقد كانت أعصابه هادئة ... وكان بالغرفة فِراش صغير استلقى عليه ... وسرح مع أفكاره ... إن وجود «سامي صيدح» ... الرجل الوحيد في لبنان الذي يعرف

«يانك تورو» بين أعوان الزعيم شيء مذهل ... ومعناه أن «يانك» يعرف كل شيء يدور في هذه القلعة الحصينة ... ويعرف الخطط التي وضعها الزعيم لقتله.

والآن و«سامي صيدح» ... يعرف أن «أحمد» يعلم حقيقته ... كيف سيتصرَّف؟ إن هناك احتمالين؛ الأول أن يحاول القضاء على «أحمد» قبل أن يكشف «أحمد» حقيقته. والثاني أن يظن أن «أحمد» من أعوان «يانك»، ويُساعده على الفرار ... ورجَّح «أحمد» أن «سامي» لن يجرؤ على قتله دون أمر الزعيم، ولكن هل يساعده على الفرار؟

وتأكد «أحمد» أن «سامي» في الحالتين لن يُقدم على شيء قبل أن يهبط الظلام، فما زال هناك إذن وقت طويل ... وهكذا خلع حذاءه، واستلقى على الفراش، وسرعان ما ذهب في نوم عميق.

في تلك الأثناء كانت الطائرات تحمل بقية الشياطين من مختلِف أنحاء الوطن العربي إلى بيروت ... «هدى» من المغرب، «بو عمير» من الجزائر ... «مصباح» من ليبيا ... «خالد» من الكويت ... «قيس» من السعودية، و«رشيد» من العراق ... وكان «باسم» الفلسطيني في مهمة في قطر فوصل هو أيضًا ... وأسرعوا جميعًا إلى المقر السري الجديد للشياطين الـ «١٣» في بيروت، وكان مقرًّا مدهشًا سنعرف تفاصيله في القصة القادمة ... وعندما وصلوا واحدًا إثر الآخر، كانت «إلهام» في انتظارهم ... وكانت «زبيدة» تجلس إلى جهاز اللاسلكي الضخم تتلقى رسائل من «عثمان» ... وكان «عثمان» يختفي بين الأشجار عند بداية طريق برمانا ... وكان «فهد» يختفي بين الأشجار أيضًا قريبًا جدًّا من البيت الصخري الذي دخله «أحمد».

فعندما ذهب «أحمد» للقاء الزعيم كان قد اتخذ احتياطات دقيقةً ليعرف بقية الشياطين أين هو ... فأخذ معه جهازًا صغيرًا جدًّا في حجم القرش يرسل موجات لاسلكيةً مستمرة ... وعندما وصل إلى السيارة البيضاء التي حملته إلى الزعيم، ألصق الجهاز الدقيق تحت رفرف السيارة، وركب دون أن يحس السائق بما حدث. وكان «فهد» و«عثمان» يتبعانه في سيارة أخرى بها جهاز لاسلكي يستقبل موجات الجهاز الصغير. وهكذا استطاع «فهد» و«عثمان» أن يحدِّدا المكان الذي به «أحمد» ... وكانت الخطة ألَّا يقتحم الشياطين المكان إلا إذا اكتمل عددهم ... وتكون الموجة الأولى من المهاجمين مُكوَّنةً من «هدى» و«بو عمير» و«مصباح» و«خالد» و«رشيد» و«باسم» ... وهي المجموعة التي لم يرَها الزعيم ولا يعرف رجاله عنها شيئًا.

وكانت الخطة بسيطة؛ سيركبون سيارة ميكروباس كأنهم في رحلة، ثم تتعطل السيارة قرب المكان الذي به «أحمد»، ويتظاهرون بالبحث عمن يساعدهم على إصلاح

السيارة ... وينتشرون في المنطقة ... وكلما ارتفع صوت جهاز الإرسال الذي وضعه «أحمد» في السيارة البيضاء؛ عرفوا أنهم يقتربون من «أحمد» ... وكانت المجموعة التالية المكونة من «عثمان» و«فهد» و«إلهام» و«زبيدة» و«ريما» هي مجموعة التغطية ... ولم يكن الهدف إنقاذ «أحمد» وحده ... ولكن القبض على الزعيم نفسه ... واستجوابه لمعرفة مهمة «يانك تورو» في بيروت.

وظلت الاتصالات طول النهار بين مركز المراقبة و«فهد» الذي كان يحمل منظارًا مكبِّرًا يرقب به من فوق الشجرة ما يدور حول البيت الصخري ... و«عثمان» وهو الذي يتلقَّى رسائل «فهد» أولًا بأول ... و«زبيدة» التي تتلقَّى في المقر الجديد رسائل «عثمان» ثم تبلِّغها أولًا بأول ... إلى رقم «صفر» الذي كان مهتمًّا للغاية بهذه العملية.

وكانت ساعة الصفر في الهجوم هي آخر ضوء الشمس ... فإذا لم يخرج «أحمد» من البيت الصخري بدأ العد التنازلي من واحد إلى عشرة ... ثم يبدأ الشياطين الستة الأول تنفيذ عملية السيارة الميكروباس ... وينتشرون حول البيت الصخري ... مُزوَّدين بمختلِف أنواع الأسلحة، على أن تتبعهم الموجة التالية من الشياطين إذا احتاج الأمر.

استيقظ «أحمد» من نومه عندما سمع الباب يُفتح، فجلس، وشاهد شخصًا يدخل يحمل له صينية طعام ...

نظر «أحمد» في ساعته، كانت الثالثة ... فما يزال هناك وقت طويل حتى يبدأ «سامي صيدح» أو الشياطين العمل.

كان «سامي» هو الذي حمل الطعام لـ «أحمد»، بينما وقف رجل آخر خلفه يحمل مسدسًا ... ونظر «سامي» إلى «أحمد» نظرةً لها معنًى ... ثم نظر إلى صينية الطعام، ووضعها على الطاولة التي بجوار الفراش وخرج.

أدرك «أحمد» على الفور أن ثمة رسالةً في الطعام، فانتظر حتى خرج الرجلان، ثم أخذ يفحص الطعام سريعًا ... وبين شطري سندويتش من الجبن لاحظ ورقةً صغيرةً مخفيةً بعناية بين لباب العيش، فأخرجها بهدوء، ثم وقف تحت الضوء وأخذ يفتحها برفق حتى لا تتمزَّق ... ووجد عليها كلمات بالقلم الرصاص كُتبت بسرعة: «لا تشِ بي. سوف أساعدك.»

ولم يكن على الورقة توقيع، ولكن «أحمد» عرف طبعًا أنها من «سامي صيدح» عميل «يانك» المدسوس وسط عصابة الزعيم.

خريطة الكنز

أخذ الضوء يتلاشى شيئًا فشيئًا من غرفة السجن الضيِّقة، و«أحمد» ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى ... ثم هبط الظلام ... وسمع «أحمد» صوتًا بعيدًا كانفجار عجلة سيارة، وكانت هي فعلًا السيارة الميكروباس ... فقد جاءت ساعة الصفر، واقتربت الميكروباس حسب إرشادات جهاز اللاسلكي ... وانفجرت العجلة بعملية محسوبة، وزحفت السيارة بضعة أمتار ثم وقفت ... وشاهد الأصدقاء ورشة تصليح السيارات، ووجدوها مغلقة، ولكنهم بسرعة استطاعوا فتح الباب والدخول ... وكم كانت دهشتهم عندما وجدوها مفتوحةً من الخلف، وأدركوا أنها مجرد ديكور للتمويه! وعندما خرجوا من الطرف الآخر وجدوا المنزل الصخري لا يحجبه عنهم سوى شجر التفاح ... وتقدَّم «قيس» و«باسم» مسرعين إلى المنزل الصخري وهما يصفران كأنهما في نزهة ... وظهر رجل من وراء شجرة تفاح، فقال «قيس»: نطلب مساعدة؛ فقد تعطلت سيارتنا. قال الرجل: لقد سمعنا انفجار عجلة ... معكم طبعًا عجلة إضافية.

قيس: للأسف إننا استخدمناها من قبل.

الرجل: ليس عندنا ما نستطيع مساعدتك به ... ابتعد ...

قيس: كيف تعاملني هكذا؟ ... إن المكان بعيد جدًّا عن العمران.

رفع الرجل بندقيته في وجه «قيس»، ولكن ذلك لم يستمرَّ طويلًا؛ فقد كان «باسم» يدور خلف الشجيرات حتى أصبح خلف الرجل تمامًا، ثم قفز عليه وسقطا على الأرض معًا ... ولم يستغرق الصراع سوى ثوانٍ قليلة؛ فقد تقدَّم «قيس»، وبقبضته الساحقة أرسل قنبلةً استقرت على رأس الرجل ... بينما كان «باسم» يناوله ضربةً أخرى في البطن.

أزاح الاثنان الرجل جانبًا وتقدَّما ... وفجأةً انطلق كشاف من الضوء غمرهما تمامًا ... وانطلق مدفع رشاش ... واستلقى الاثنان أرضًا ... وكان «مصباح» و«رشيد» يتنقلان

فوق الأشجار حتى اقتربا من المنزل تمامًا ... وأخرج «مصباح» أصبعًا من الديناميت ثم استجمع قوته وقذفه تجاه الكشاف فانفجر وساد الظلام ... ثم أتبعه بأصبع آخر ناحية المدفع الرشاش ... فصمت ... ولكن مرةً أخرى انطلقت مجموعة من المدافع الرشاشة في كل اتجاه ...

وجاء الدور على «خالد» ... اختار غصنًا قويًّا في شجرة قريبة جدًّا من المنزل ... ثم وقف متمالكًا توازنه ... وقفز مستخدمًا الغصن كأنه سوستة وطار في الهواء، ونزل فوق سطح المنزل ... وسمع «أحمد» صوت سقطته، فوقف فوق الطاولة واقترب برأسه من الفتحة العليا في الغرفة وصاح: «أحمد» ينادي!

وأسرع «خالد» إلى الفتحة وقال: نحن المجموعة الأولى للهجوم ... المجموعة التالية ستتبعنا. وفي هذه اللحظة فُتح باب الغرفة، وظهر «سامي صيدح» وقال لـ «أحمد»: إنهم مشغولون بالهجوم ... تستطيع أن تهرب الآن.

وفتح الباب لـ «أحمد» لكي يمر ... ومر «أحمد» فعلًا من الباب ... ولكنه استدار فجأةً وأرسل قبضته في ضربة وجَّهها بين عينَي «صيدح» ... وفي نفس الوقت كانت يده اليسرى ترفع يد «صيدح» التي تحمل المسدس إلى فوق، وضربها بالحائط فسقط المسدس.

لقد أدرك «أحمد» أن «سامي صيدح» ينوي الغدر به ... سيتركه يحاول الفرار ثم يطلق عليه النار من الخلف ويدعي أنه كان يمنعه من الفرار.

سقط «سامي» على الأرض وانكسرت نظارته الطبية، ولكنه استعاد توازنه سريعًا فقد كان قويًّا كالثور ... وحاول الإمساك بـ «أحمد»، ولكن «أحمد» كان أسرع منه فقد لوى ذراعه بقوة ودفعه مرةً أخرى فسقط على وجهه ... فانتزع منه حلقة المفاتيح ثم قفز خارجًا وأغلق الباب خلفه بعد أن التقط المسدس.

كان هجوم الشياطين مستمرًّا ... وطلقات الرصاص تتطاير في الجو وهم يقتربون من البيت الصخري مكتسحين نطاقات الدفاع عنه، ووصل «أحمد» إلى صالة المنزل، كانت فارغة ... وفجأةً سمع صوتًا يأتي من باب جانبي يقول: أطلقوا الأشعة!

كان صوت الزعيم. وأدرك «أحمد» على الفور أن سلاحًا خطيرًا سيُستخدم ضد الشياطين ... أشعة الموت ...

واتجه فورًا إلى الغرفة التي صدر منها الصوت، وفتح الباب برفق. وكم كانت دهشته عندما شاهد بالغرفة ... أجهزةً كهربائيةً تلمع فيها عشرات من اللمبات تضيء وتنطفئ ... أزرار من كل الألوان منتشرة في الأجهزة ... آلات دقيقة، ساعات ... عدَّادات ... وكان أغرب

من ذلك كله الزعيم الذي كان يلبس ثيابًا أشبه بثياب الغواصين، وعلى رأسه خوذة، وكان معه ثلاثة رجال في نفس الملابس ...

كان أحد الرجال الثلاثة يمد يده إلى ذراع الحائط ... وأطلق «أحمد» رصاصةً على ذراعه فصاح مرتعبًا ... والْتفت الزعيم إلى «أحمد» وضغط على زر بقدمه فساد الظلام الغرفة ... وانحرف «أحمد» جانبًا خارج الغرفة بعيدًا عن مرمى الرصاص الذي انهال عليه ... وسمع في نفس اللحظة صوتًا كصوت الموتور وأغلق باب الغرفة أوتوماتيكيًّا.

استولى «خالد» على مدفع رشاش كان على السطح، ونظَّف به المنطقة المحيطة بالمكان، وبعد ساعة تقريبًا من موجة الهجوم الأولى، كانت قد تمت السيطرة على المنزل الصخري ... واقتحم الشياطين الأبواب من كل جانب ... ووجدوا «أحمد» يقف أمام باب الغرفة التي كان بها الزعيم محاولًا فتحها ... ولكن كان من الواضح أن ذلك لن يتم إلا عن طريق النسف ... وسرعان ما جُهِّزت عبوة ناسفة ... وابتعد الشياطين عن الباب، وتم النسف. وبعد أن انقشع الدخان دخل «أحمد» ومعه «خالد» و«قيس» ... وكم كانت دهشتهم عندما لم يجدوا أحدًا في الغرفة مطلقًا! ... وكان من الواضح أن ثمة دهاليز سريةً تحت الأرض قد تسرَّب منها الزعيم وأعوانه الثلاثة ...

في هذه اللحظة كانت «هدى» في عربة الميكروباس تتلقى رسالة ... أن قوات الشرطة اللبنانية تتجه إلى مكان الانفجارات بعد أن أُبلغت بها من بعض الجيران، رغم بعد البيت الصخري عن الطريق العام ... وسرعان ما أُبلغت الرسالة بواسطة الأجهزة التي تصل الشياطين ببعضهم البعض ... وتقرَّر فورًا الجلاء عن البيت قبل وصول قوات الشرطة. وقال «أحمد»: إن كل ما يهمنا هنا الآن هو «سامي صيدح» ... لا بد من أخذه معنا ... إنه الوحيد الذي يعرف أين مكان «يانك تورو».

وسرعان ما انسحب الشياطين جميعًا، وقد حملوا «سامي صيدح» معهم في سيارة الميكروباس مُقيَّدًا ومكمَّمًا ... وقال «أحمد»: سنذهب إلى مكان مهجور في الجبل حيث نستجوبه ثم نتركه مقيَّدًا ونبلِّغ رقم «صفر» للقبض عليه ...

وسارت الميكروباس بعد استبدال الإطار المنفجر ... وظلت تصعد على الجبل حتى مكان بعيد عن الطريق العام انحرفت فيه ووقفت، وأخرج الشياطين «سامي صيدح» إلى العراء، وقال له «أحمد» وهو ينزع الرباط الذي يغلق فمه: أنصحك أن تتحدَّث فورًا.

كان الرجل منهارًا ... وبدت لعثمة واضحة وهو يقول: إنني لم أفعل شيئًا ... إنني ...

قال «أحمد» بصرامة: إننا لا نتحدَّث عنك ... أين ذهب الزعيم؟ قال «صيدح» بصدق: لا أعرف ... إن غرفة التحكُّم في البيت الصخري لا يدخلها إلا هو وثلاثة من رجاله المقرَّبين ... ولا ندري ماذا يحدث فيها ...

أحمد: وأين «يانك تورو»؟

تأوَّه «سامي صيدح» فقال «أحمد»: تحدَّث فورًا.

صيدح: إنني لا أعرف أين هو الآن ... ولكن ما أعرفه أنه سيكون في الخامسة من فجر اليوم في مرفأ بيروت. هناك رجل سيأتي على يخت خاص يحمل خريطةً لميناء تير، وهو ميناء أثري غرق في البحر ... ومكانه الآن مدينة صور ... وهذه الخريطة توضح مكان كنز قديم أيام الفينيقيين. وهناك عصابتان تعملان للاستيلاء على الكنز ... عصابة القرش الأزرق وعصابة الزعيم. والعصابتان تعملان منذ سنوات للوصول إلى الكنز ... وقد استأجرت عصابة القرش الأزرق «يانك تورو» لاغتيال الرجل الذي يحمل الخريطة والاستيلاء عليها، ثم القضاء على الزعيم نفسه ... هذه كل معلوماتي.

أحمد: وهي تكفي جدًّا ... هيا بنا.

وركب الشياطين الميكروباس وانطلقوا بعد أن تركوا «سامي صيدح» يناشدهم أن يفكوا وثاقه.

في المقر الجديد للشياطين الـ «١٣» جلسوا جميعًا معًا لأول مرة منذ أن خرجوا من الكهف السري ... وتولَّى «أحمد» إرسال تقرير طويل إلى رقم «صفر» بكل ما حدث ... وبالمعلومات الهامة التي حصلوا عليها.

وردَّ رقم «صفر» في تقرير قصير:

«لقد قمتم بعمل هام للغاية. ستقوم قوات الشرطة اللبنانية بمحاصرة المرفأ، ومع ذلك أرجو أن يذهب ثلاثة منكم فقط للاشتراك في الحصار ... وستجدون تصاريح لهم هناك للدخول، وسأظل منتظرًا تقريرًا منكم.»

كانت الساعة منتصف الليل، ووقع الاختيار على «أحمد» و«فهد» و«خالد» للقيام بالمهمة. فناموا أربع ساعات، ثم استيقظوا فلبسوا ثيابهم ثم غادروا المقر الجديد إلى المرفأ، عندما حصلوا على التصاريح، دخلوا إلى المرفأ الذي لا تهدأ حركته ... وكانت ثمة سفينة للبضائع تُفرغ شحنتها ... وعدد ضخم من رجال الشرطة يربضون في أماكن مختلفة من المرفأ. ونظر «أحمد» إلى ساعته، كانت الرابعة والنصف ... وبعد نصف ساعة يصل اليخت ... وينزل الرجل الهام ...

قال «فهد»: كيف يمكن لـ «يانك تورو» أن يتسلَّل من هذا الحصار؟

أحمد: لعله هنا منذ الصباح ... أو المساء قبل بدء الحصار الذي بدأ منذ منتصف الليل. وانظر حولك، إن هناك أُلوفًا من الصناديق والبراميل والآلات مكدسة في كل مكان ... وفي كل منها يمكن أن يوجد لـ «يانك تورو» مكان.

خالد: ولكن ألم يتم تفتيش المكان؟

أحمد: من المؤكد أنه تم تفتيشه ... ولكنهم لم يقبضوا عليه؛ بدليل استمرار الحراسة. ومع ذلك فلْننتظر ونرى.

مرت الدقائق بطيئة، ثم ظهر في الميناء يخت مضاء الأنوار يقترب، وبدأ الشياطين الثلاثة يركزون أنظارهم على اليخت، ولكن «خالد» أشار فجأةً إلى رافعة قديمة من الروافع التي تحمل البضائع، وكان أحد العمال يقترب منها، ويتسلَّقها في هدوء ...

قال «خالد»: هذه الرافعة!

ونظر «أحمد» إليها ... كانت ترتفع نحو خمسة عشر مترًا، وتطل على الرصيف الذي وقف عنده اليخت ... وطار «أحمد» جريًا ... كان العامل قد وصل إلى نهاية الرافعة في نفس الوقت الذي خرج فيه رجل أنيق من اليخت يحمل حقيبةً صغيرةً سوداء. وفجأةً انطفأت أنوار المرفأ ... ولم يبقَ سوى ضوء سفينة البضائع، وضوء اليخت، وبدا الرجل الذي يحمل الحقيبة على السلم الموصل إلى الميناء وحوله حرس من رجال الشرطة، ولكنه مال فجأةً وسقط في الماء.

كان «أحمد» قد وصل إلى نهاية الرافعة، وشاهد العامل الذي لم يكن سوى «يانك تورو» يقذف ببندقيته في الماء ... ثم يبدأ النزول ... ولكن «أحمد» قفز عليه، واشتبكا في صراع عنيف. كان «يانك» قويًّا فضرب «أحمد» لكمةً أوقعته، وكاد يسقط من فوق الرافعة، وقفز «يانك» من فوق «أحمد» ... ولكن استطاع أن يمسك بقدمه ويلويها بشدة ... ولم يستطع «يانك» تمالك نفسه ... ففقد توازنه وسقط من فوق الرافعة، وسُمع صوت جسده وهو يرتطم بالأرض.

بعد إطفاء الأنوار مباشرةً حدث هرج ومرج، وأسرع «فهد» و«خالد» إلى الرجل الذي كان يحمل الحقيبة، ولكنه كان قد غاص في الماء هو وحقيبته. وعندما أضيئت الأنوار كان الشياطين الثلاثة قد انسحبوا ... لقد أتم «يانك تورو» مهمته ودفع حياته ثمنًا لها.

في صباح اليوم التالي وصل تقرير من رقم «صفر» إلى الشياطين الـ «١٣»:

مات يانك تورو بعد أن أطلق الرصاص على حامل الحقيبة ثم سقط من فوق الرافعة. لم يمت الرجل الذي كان يحمل الحقيبة لأن الطلقة أصابت كتفه، ولكن

لم يُعثر على الحقيبة بعد. هناك عدد من الغواصين يحاولون العثور عليها ... تم القبض على عصابة الزعيم.

أشكركم كثيرًا رغم كل شيء ... سأخطركم عندما يتم العثور على الحقيبة.

رقم صفر

هنـــداوي